كبرياء وهوى

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: كبرياء وهوى**
- **المؤلف: فرج خطاب**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 25806**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-76-8**
- الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

كبرياء وهوى

رواية

فرج خطاب

www.bbibliomania.com

2019

الفصل ا لأول

هناك حقيقة يعرفها الجميع، وهي أن الرجل الأعزب الذي يمتلك ثروةً جيدة، يكون في حاجة إلى زوجة.

وعلى الرغم من عدم معرفة مشاعر أو آراء مثل هذا الرجل عند انتقاله إلى حي جديد لأول مرة لكي يكون هو محل إقامته الجديد، فإن هذه الحقيقة تكونراسخة جيدًا في أذهان العائلات المحيطة به، حيث يعتبرونه ملكًا شرعياً لواحدة أو لأخرى من بناتهم.

ذات يوم، سألت السيدة "بينيت" زوجها :

- يا عزيزي، السيد "بينيت "، هل سمعتَ أن أحدهم قد استأجر نيذرفيلد بارك مؤخرًا؟
- في الحقيقة أنني لم أسمع شيئاً من هذا.
- لكنه حدث، فقد كانت السيدة "لونغ" هنا للتوّ، وهي التي أخبرتني كل شيء عن هذا الأمر.

لم يقدّم السيد "بينيت" أيَّ إجابة، فقد كان الخبر جديداً بالنسبة له، إلا أن صمته لم يكن مُرضياً لرغبة زوجته في الثرثرة، فراحت تتابع حديثها بفارغ الصبر:

- ألا تريد أن تعرف من استأجرها؟.
- أنتِ تريدين أن تخبريني، وليس لديّ أي اعتراض على سماعك !.

وكانت هذه الدعوة كافية لأن تطلق العنان لرغبتها في الثرثرة، فقالت:

- لماذا يا عزيزي؟ يجب أن تعرف، تقول السيدة "لونغ" إن نيذرفيلد قد تم استئجارهامن قِبل شاب لديه ثروة كبيرة، من شمال إنجلترا، وأنه قد حضر يوم الاثنين في عربة تجرها أربعة خيول لمعاينة المكان، وكان سعيدًا جدًا به، لدرجة أنه اتفق مع السيد "موريس" على الفور، قبل عائلة "مايكل"، كما أنه سوف يضمها لحيازته وممتلكاتهفوراً، وأنه عازم على إحضار بعض خدمه إلى المنزل بحلول نهاية الأسبوع المقبل.

ويبدو أن الزوجة فتحت شهية زوجها للحديث، فسألها في اهتمام:

- ما هو اسمه؟
- السيد "بينجلي".
- هل هو متزوج أم أعزب؟
- أوه، إنه أعزب يا عزيزي، تأكد من ذلك! رجل أعزب، ذو ثروة كبيرة، لها دخل يُقدّر بأربعة أو خمسة آلاف جنيه في السنة.يا له من شيء جيد بالنسبة لفتياتنا! أليس كذلك؟!
- كيف ذلك؟ وما علاقة بناتنا بهذا الأمر؟

فأجابته زوجته، بنبرة ذات دلالة:

- وما علاقة بناتنا بهذا الأمر؟! كيف يمكن أن تكون مُضحِراً جدًا لهذا الحد!يجب أن تعرف أنني أفكر في زواجه من إحداهن.
- وهل هذا هو هدفه منالاستقرار هنا؟

- هدفه؟!.. هذا هراء، كيف يمكنك أن تتحدث هكذا؟ ومع ذلك فإنه من المحتمل جدًا أن يقعَ في حب إحداهن، ولهذا فإنه يجب عليك زيارته بمجرد وصوله.

فأبدى السيد "بينيت" عدم اقتناعه قائلاً:

- لا أرى أيّةّ مناسبة لذلك. وقد يكون من المناسب لكِ أو للفتيات أن تذهبن، أو حتى ترسليهن بمفردهن، وهو ما قد يكون أفضل، لأنكجميلة مثل أيّ ةواحدة منهن، وقد يُعجب بك السيد "بينجلي" ويراكِ أجمل منفي الحفلة.

تشامخت السيدة "بينيت" برأسها في ثقة، إلا أنها قالت في تواضع:

- أشكرك يا عزيزي، أنت تجاملني يا عزيزي "بينيت"، كم أنت زوج رائع، بالتأكيد كان لديّ نصيب من الجمال في شبابي، ولكنني لا أدّعي أنني أمثل شيئاً غير عادي الآن، وهذا طبيعي، لأنه عندما يكون لدى المرأة خمس بنات ناضجات، يجب عليها أن تتخلّى عن التفكير في جمالها الخاص، بل إنه في مثل هذه الحالات، لا تتمتع المرأة في كثير من الأحيان بمستوى عال من الجمال، يستحق أن تفكر فيه كثيراً، وعليها أن تفكر في مستقبل بناتها، ولكن ياعزيزي، يجب عليك فعلاً الذهاب لمقابلة السيد "بينجلي" حالما يأتي إلى الحي؛ لأنه عليك أيضاً أن تفكر في مستقبل بناتنا.

- أؤكد لكِ أنني لا يمكنني أن أعدكِ بهذا، ولكنني قد أطلب منكِ أن تحملي رسالةً مني إليه، أخبره فيها أنني سوف أكون سعيداً بالموافقة على زواجه من إحدى بناتي طبقاً لاختياره من بينهن، وربما كان من المناسب أن أضع اسم "ليزا" كاختيار أو ترشيح من جانبنا.
- لكن عليك أن تذهب بنفسك لرؤيته، فكر في بناتك، فقط فكر في المؤسسات التجارية التي سوف تكون لإحداهن، إن السير "وليام" والسيدة "لوكاس" مصممان على الذهاب؛ فقط لتحقيق هذا الهدف، لأنهما بشكل عام – كما تعلم – لا يزورون أي وافدين جدد، ولذلك، في الواقع، يجب أن تذهب أنت لكي تراه، لأنه سيكون من المستحيل علينازيارته إذا لم تفعل ذلك.
- أنتِ شديدة الدقة بالتأكيد. ويمكنني القولأن السيد "بينجلي" سيكون سعيدًا جدًا برؤيتكِ، ولكنكِ لم تخبريني برأيكِ في أنني سوف أُرسل له معك بضعةَ سطورٍ لأؤكد له فيها موافقتي القلبية على زواجه من أيِّ فتاةٍ يختارها بنفسه من بناتي، كما لم تخبريني برأيك في ترشيح "ليزا" حيث أوصيبكلمة طيبة عنها؟
- أتمنّى ألا تفعل أي شيء من هذا القبيل، فإن ابنتنا "ليزي" لم تعُد صغيرة، كما أنها ليست أفضل من الأخريات، وأنا متأكدةمن أنها ليست في نصف جمالابنتنا "جاين"، ولا نصف روعةطباع ابنتنا "ليديا"، ولكنك دائماً ما تمنحها المعاملة التفضيلية..

- كلا، إنهما ليس لدى أيّ منهما الكثير مما أوصي به ، بل إنهما حتى سخيفات، وجاهلات، مثل غيرهما من الفتيات الأخريات، لكن "ليزي" لديها شيء أكثر فطنة من شقيقاتها، وأكثر ذكاء.
- سيد "بينيت "! كيف يمكنك الاعتداء على أطفالك والتشهير بهم بهذهالطريقة؟ أنت تستمتعبإغاظتي؛ ولا يوجد لديك أيّ تعاطف أو رحمةبأعصابي الضعيفة عندما تتحدّث معي في أمور مثل هذه!
- أنتِ تخطئينفهمي يا عزيزتي؛ فلديّاحترامٌ كبير لأعصابك..وهمأصدقائي القدامى.
- نعم، لقد سمعتك تذكرهم بالتقدير والاحترامطوال هذه السنواتالعشرين الماضية على الأقل.

كان السيد "بينيت " غريبًا للغاية، فهو مزيج من سرعة التقلّب، والفكاهةالساخرة، والتحفّظ والنزوات، لدرجة أن تجربةَ ثلاث وعشر ون عامًا منزواجهما، لم تكن كافية لأنتجعل زوجته تفهم شخصيته الغريبة، فقد كانتأقل بكثير من أن تفهمه، حيث أنها كانت امرأة ذات مستوى متوسط منالفهم والذكاء ، على قدر ضئيل من المعلومات، ومزاج متقلب غير مؤكدعندما تكونغير سعيدة، وتتوهم نفسها عصبية المزاج؛ هدفها الرئيسي فيحياتها هو زواج بناتها.

وكانت سلوتها هي تبادل الزيارات والأخبار..

الفصل الثاني

كان السيد "بينيت" في حقيقة الأمر من بين أوائل من قاموا بزيارة السيد "بينجلي"؛ عندما وصل إلى نيذرفيلد، وكان فعلاً يخططدائمًا لزيارته، مع أنه وحتى النهاية، كان يؤكد دائمًا لزوجته أنه يجب ألا يذهب إليه، وحتيالمساء بعد أن تمت الزيارة، لم تكن زوجته ولا بناته على علم بأنه قامبزيارة جارهم الجديد.

ثم تم الكشف عنها؛ عندما سأل السيدة "بينيت" عن أخبار قد تكون متاحة لهاعن السيد "بينجلي"؛ فقالت:

- كلا، فلقد سئمتُ من سيرة السيد "بينجلي".

وهو ما جعل السيد "بينيت" يفاجئها قائلاً:

- أنا آسف لسماع هذا، ولكن لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟ فإذا كنتُ قد عرفتُ هذا منذ الصباح لما قمتُ بزيارته بالتأكيد!. إنه حظ سيئللغاية؛ ولكن بما أنني قد قمتُ بالزيارة فعليًا، فلا يمكننا الهروب من التعارف الآن.

ولقد كانت دهشة السيدات هي ما تمنّاه، إلا أن دهشة السيدة "بينيت" ربما تجاوزتْ دهشة الجميع، وهو ما جعلهسعيداً بهذهالمزحة اللطيفة!

وعندما انتهى الشغبُ والضجةُ تعبيراً عن الفرحِ والبهجةِ، بدأتْ تعلن أن هذا تماماً ما كانت تتوقعه وتتمناه طوال الوقت.. فصاحت مبتهجة:

- يا إلهي! كم هو جميل منك أن تفعل هذا يا عزيزي السيد "بينيت"، كنتُ أعرف أنني سوف أقنعك في النهاية بالذهاب إليه وزيارته، كم أنا

سعيدة أني فعلتَ هذا، وكم هي جميلة هذه المزحة أيضاً، أنا سأحتفظ بالخبر ولا تسرّ به إلينا حتى الآن، ولقد كنتُ متأكدةً من أنك تحب بناتك جداً لدرجةأنك لن تهمل مثل هذا التعارف، حسنًا، كم أنا سعيدة!

ثم وجهتْ حديثَها لبناتها، بينما همّ السيد "بينيت " للخروج من الغرفة سعيداًبمدى إثارة حماس زوجته، قالت في سعادة:

- يا له من أبٍ رائعٍ يا فتيات! لا أدري كيف سوف تجعلنه يحسّن من معاملته ومعاملتي أيضاً بخصوص هذا الأمر؛ كما يمكنني أن أخبركنأننا في خلال حياتنا، لم يكن من السار جداً تكوين معارف جديدة كل يوم، ولكن من أجلك، سوف نفعل أي شيء، "ليديا"، يا حبيبتي، رغم أنك الأصغر سناً، إلا أنني أجرؤ على القول إن السيد "بينجلي" سوف يرقص معك في الحفلة التالية.

قالت "ليديا" بشجاعة:

- أوه، أنا لستُ خائفةً، وعلى الرغم من أنني أصغرهن سناً، فأنا الأكثر طولاً.

وانقضتْ بقية السهرة في التخمين وتخيل الزمن الذي سوف ينقضي حتى يأتي السيد "بينجلي" لزيارتهم، رداً على زيارة أبيهن، ويحدّدن متى يجب أن يدعونه لتناول العشاء معهم.

وفي المساء من اليوم التالي، كان الوقت يمضي في تناول نفس الموضوع.

كان الجميع يندهشون لمرور الوقت سريعاً، واقتراب الموعد الذي سوفيزورهمفيه السيد "بينجلي" ردًا على زيارة السيد "بينيت"، وما إذا كان عليهمدعوته أصلاً للعشاء.

لاحظ السيد "بينيت "ابنته الثانية، "إليزابيث "، التي كانت مشغولة في تزيينالقبعة، فخاطبها فجأة قائلاً:

- آمل أن يعجب السيد"بينجلي" ذلك، "ليزي".

فقالت الأم في استياءِوامتعاض:

- بما أننا لن نزوره، فليس لنا أن نعرف ماذا يحب، وماذا يكره.

وقالت "إليزابيث":

- ولكنكِ نسيتِ يا ماما أننا سنلتقي به في الجمعيات والمجالس، وأنالسيدة "لونغ"كانت قد وعدت بتقديمه.
- لا أعتقدُ أن السيدة "لونغ" سوف تفعل أي شيء من هذا القبيل؛ فإن لديها اثنتين من أقربائها البنات؛ وهي امرأةٌ أنانيةٌ، منافقةٌ، وليس لديّ رأي عنها أو وجهة نظر أكثر من ذلك.

فابتسم السيد "بينيت"، وقال في نبرةِ سعادة:

- ولا أنا لديّ شيء من ذلك، وأنا سعيدٌ لأنني اكتشفتُ أنكِ لا تعتمدينَ على خدمتها لك.

ولم تبادر السيدة "بينيت"بتقديم أي رد، ولكنهاكانت غيرَ قادرةٍ على احتواءِ نفسها، فبدأت في توبيخ إحدى بناتها؛ التي كانت تسعل بألم:

- لا تستمري في السعال هكذا، "كيتي"، من أجل الله! وليكن لديكِ القليل من الشفقة على أعصابي التي تمزقينها تمزيقاً.

وعلّقالوالد:

- أنتِ تعلمين أن "كيتي" ليس لهيها سيطرةٌ على السعال؛ وهي تمرّ بظروف مرضية.

فردت "كيتي" بحزنٍ قائلة:

- إنني لا أسعلُ من أجل التسلية، ولا أستمتع بالسعال، بل إنه يؤلمني.

قال الأب يشاكسها:

- متيسوف تكون حفلتك التالية يا "كيتي"؟

فنسيتْ"كيتي" توبيخ الأم، وقالت مبتسمة:

- بعد أسبوعين يا أبي.

ضحك السيد "بينيت"، ومازحها قائلاً:

- الآن، "كيتي"، يُمكنك أن تسعلي بقدر ما تودّين! وصاحت الأم:

- أي!هكذا إذن.

وصمتت قليلاً، ثم عادت إلى حديثها عن السيدة "لونغ"، قالت:

- السيدة "لونغ" لن تفعل ذلك، لن تعود حتى اليوم السابقللزيارة، لذلك سوف يكون من المستحيل عليها أن تقدّمه، لأنها لن تعرفه هي نفسهاثم يا عزيزتي، يجبأن يكون لديكِ ميزة تميزك عن صديقتك، وهي أن تقدّميأنتِ السيد"بينجلي" إليها.

ثم وجّهت حديثها إلى زوجها قائلة:

- مستحيل يا سيد "بينيت"، مستحيل، عندما لا أكون على درايةٍواطِّلاعٍ بشخصه، كيف يمكن أن تكون مضايقًا جدًا لي؟أنا أحترمُحذرك وحيطتك، ومن المؤكد أن التعارف لمدة أسبوعين قليلة جدًا..ولا يمكن للمرء أن يعرف ما هي حقيقة الرجلخلال أسبوعين فقط، ولكن إذا لم نقم بمغامرة بخصوص هذا الأمر فإن شخصاً آخر سوف يفعل، وبعد كل شيءفإن السيدة "لونغ" وبناتها سوف يدافعن بجرأة عن فرصتهن، وبالتالي، قدتعتبره نوعاًمن اللطف وحسن المعاملة، وإذا رفضت هذا الواجب، فسوف أحمله أنا على عاتقي.

كانت الفتيات تحدقن في والدهن. بينما استطردت السيدة "بينيت" قائلة:

- هُراء، مجرد هُراء!

فصاح السيد "بينيت":

- ماذا يمكن أن يكون معنى هذا التعجب ؟ هل تعتبرينِي أشكال التعارف والضغوط التيتنطوي عليها هُراء؟ إنني لا أستطيع أن أتفقَ معك تمامًا في هذا. ماذا تقولينها "ماري"؟ لأنك سيدة شابة ذات تفكير عميق، وأنا أعلم ذلك، وتقرأين الكتب القيّمة، وتستخرجينالمقتطفات.

وأرادت "ماري" أن تقول شيئًا معقولًا، لكنها لم تكن تعرف كيف؛ ولا ماذا يمكنها أن تقول.

*****

الفصل الثالث

لم يكن باستطاعة السيدة "بينيت"، ولا حتى مساعدة بناتها الخمسلها كانت كافية، لأن تستخلص من زوجها أي وصف مُرضٍ للسيد "بينجلي ".. لقد حاصرنهبطرق مختلفة – بأسئلة غير واضحة، وافتراضات عبقرية، وتخمينات بعيدة، ولكنه تهرب من مهاراتهنجميعهن، وكانوا في النهاية ملزمين بقبول ذكاء جارتهم، السيدة "لوكاس"، فقد كان تقريرها ملائمًا جداً، وإيجابياً للغاية. وكان زوجها، السيد "وليام"، سعيدًا به.

لقد كان السيد "بينجلي"صغيراً للغاية، وسيماً، رائعًا، ومقبولًا بقوة، وتتويجاً للأمر، فقد كان يعتزم الحضور إلى الحفل الراقص القادم مع مجموعة من الأصدقاء.

لا شيء يمكن أن يكون أكثر بهجة من أن تكون مولعاً بالرقص، وهذه خطوة مؤكدة نحو الوقوع في الحب؛ وكانت هذه من الآمال الحيوية للغاية، والنابعة من قلب السيد "بينجلي".

قالت السيدة "بينيت" لزوجها:

- إذا كان بإمكاني رؤية واحدة من بناتي وقد استقرت بسعادة في نذرفيلد وأيضاً كل أخواتها تتزوجن على نفس هذا القدر الجيد، لن يكون لديّ أي شيء آخر أتمناه أكثر من ذلك.

في غضون بضعة أيام، رد السيد "بينجلي" زيارة السيد "بينيت"، وجلس معه حوالي عشر دقائق في مكتبته؛ وكان يُبدي آماله في أن يُسمح له بلقاء الفتيات الشابات اللواتي سمع الكثير عن جمالهن، ولكنه رأى الأب فقط.

وكانت السيدات أكثر منه حظًا إلى حدٍ ما، لأنهن كن يتمتعن بميزة رؤيتهمن خلال نافذة الطابق العلوي، وهو يرتدى معطفًا أزرق ويمتطي حصانًا أسود.

بعد فترةٍ وجيزةٍ تم إرسال دعوةً لتناول العشاء، وقد سبق أن خططت السيدة "بينيت" ألوان الطعام التي تعود بالفضل لها والمفخرة في تدبير شؤونها المنزلية، وتجعلها جديرة بالثناء، ولكن عندما وصل الرد تم تأجيلُ كل شيء، فقد اضطُر السيد "بينجلي" إلى البقاء في المدينة في اليوم التالي، مما ترتب عليه أن يعتذر لأنه لم يتمكن من قبول شرف دعوتهم.

كانت السيدة "بينيت" محبطة للغاية، وأصيبت بخيبة أمل كبيرة، ولم تستطع أن تتخيل طبيعة عمله في البلدة بعد وقتٍ قصيرٍ من وصوله إلى هيرتفوردشاير وبدأت تخشى من أنه ربما كان يتنقل دائمًا من مكان إلى آخر، ولا يستقر أبدًا في نيذرفيلد، كما يجب أن يكون.

هدّأتْ السيدة "لوكاس" من مخاوفها قليلاً، بأن فكرة ذهابه إلى لندن كانت فقط لإحضار مجموعةٍ من الأصدقاءمن أجل حفلةِالرقص الكبيرة، وسرعان ما جاء في الأخبار أن السيد "بينجلي" سوف يُحضر معه اثني عشر سيدة، وسبعة رجال، إلى الحفلة.

أحزنتْهذه الأخبار الفتيات بسبب هذا العدد الكبير من السيدات، لكنهن كنّ مرتاحات في اليوم السابق للحفلة من خلال معرفة أنه بدلاً من إحضار اثني عشر سيدة، أحضر معه فقط ستّة من لندن – أخواته البنات الخمس، وابن خالته.

وعندما دخل الأصدقاء إلى قاعة الحفلة، كانوا يتألفون من خمسة فقط – السيد "بينجلي"، اثنتين من شقيقاته، زوج أخته البكر، وشاب آخر.

كان السيدُ "بينجلي " ذو مظهر جيد وجميل ، وكان يتمتع بطلاقة لطيفة سلسةوسلوكيات طبيعية، وكانت أخواته من النساء الجميلات، ترتدينآخر الأزياء الرائعة، أما زوج شقيقته، السيد "هيرست"، فكان مجرد رجل نبيل، ولكن سرعان ما لفت صديقه السيد "دارسي"انتباهكل من بالغرفة من خلال شخصيته الجميلة وطول قامته وملامحه الوسيمة، وطلّته النبيلة، والتعبير الرائع الذي ارتسم على ملامحه، وانتشر خبر في غضون خمس دقائق فقط بعد دخوله الغرفة، أن دخله عشرةُ آلاف جنيه في السنة، وأعلن الرجال أنه يمثلرمزاً جيداً لمظهرالرجل، كما أعلنت السيدات أنه كان وسيماً أكثر بكثير من السيد"بينجلي"، وكان هو محور الإعجابالكبير من الجميع لنحو نصف المساء، حتى أثارت سلوكياته الاشمئزازوالامتعاض الذي أثّر على شعبيتهبين المدّ، والجزر، في قبول الجميع له، الذين اكتشفوا أنه متكبرٌ، ويشعرأنه فوق أقرانه وأصحابه، وأن لا شيء يمكن أن يجعله مبتهجاً، وأنه لم يكن يستمتع بالرقص، ولم تستطع كل ممتلكاته الضخمة في ديربيشاير أن تنقذه من الرفض لطلعته غير المقبولة، واعتباره غير بهيج في أعينهم، ولا يستحق المقارنة مع صديقه"بينجلي" الذي يفوقه جاذبية.

أما السيد "بينجلي" فقد جعل من نفسه سريعاً شخصية معروفة بالنسبة لجميع الأشخاص الرئيسيين والمهمين في الغرفة، فكان نابضًا بالحيوية، ودوداً وبهيجاً، غير متحفظ، ورقص كل الرقصات، وكان مغتاظاً من أن الحفلة الراقصة قد انتهت مبكرًا، وتحدث عن أنه سوف يقيم بنفسه حفلة راقصة في نيذرفيلد.

كل هذه الصفات الودية يجب أن تتحدث عن نفسها، فيا له من تباين بينه وبين صديقه!

رقص السيد "دارسي" مرة واحدة فقط مع السيدة "هورست"، ومرة أخرى مع أخته السيد "بينجلي"، ولم يرغب في أن يُقَدَّمْ إلى أي سيدة أخرى في الغرفة! وقضى بقية الأمسية في المشي خلال الغرفة، والتحدث في بعض الأحيان إلى واحدٍ من أصحابه، وهكذا تم تحديدُ شخصيته.

لقد كان الرجل هو الأكثر كبرياءً، والأقل قبولاً في العالم، وكان الجميع يأملون في ألا يأتي أبدًا مرةً أخرى.

من بين أكثر النساء عنفاً ضده كانت السيدة "بينيت"، التي زاد كرهها لسلوكه العام إلى استياءٍ خاص بسبب قيامه بتجاهل وإهانة إحدى بناتها.

كانت "إليزابيث" مجبرة، بسبب ندرة الرجال، على الجلوس بدون رقص لرقصتين، وخلال ذلك الوقت، كان السيد "دارسي" يقف بالقرب منها بما يكفي لها لسماع محادثة بينه وبين السيد "بينجلي"، الذي أتى من الرقص لبضع دقائق، للضغط على صديقه للانضمام إليه في الرقص قائلاً:

- هيا يا "دارسي"..لا بد من أن ترقص معنا، فأنا أكره أن أراك واقفًا بهذه الطريقة الغبية، في حين أنه كان لديك فرصة جيدة للرقص.
- أنا بالتأكيد لن أفعل، أنت تعرف أنني أكره ذلك، إلا إذا كنتُ على دراية خاصة بشريكتي في الرقص، وفي مثل هذه الحفلة الراقصة، سيكون هذا غير ممكن، فإن أخواتك مشغولات، وليس هناك امرأةً أخرى في الغرفة لن يكون عقابًا لي أن أرقص معها.
- لن أكون أنيقاًمثلك صعب الإرضاء.. ففي غرفة واحدة، أقسم بشرفي، لم ألتقِ أبدًا في حياتي بمثل هذا العدد الكبير من الفتيات الجميلات، اللطيفات، كما حدث هذا المساء، وهناك العديد منهن كما ترى، جميلات بشكلٍ غير عادي.
- أنت ترقص مع الفتاة الجميلة الوحيدة في الغرفة.

قال السيد "دارسي" ذلك، وهو ينظر إلى الآنسة، "جاين "، أخت "إليزابيث" الكبرى؛ فابتسم السيد "بينجلي " بسعادة، وأكّد كلام السيد "دارسي"، قائلاً:

- أوه! حقاً! إنها أجمل مخلوق رأيته في حياتي! ولكن هناك واحدة من أخواتها تجلس خلفك مباشرة، وهي جميلة جدًا، وأجرؤ على القول بأنها مقبولة جدًا. فهل تسمح لي أن أطلب من شريكتي أن تقدّمك لها؟

واستدار السيد "دارسي"، ناظرًا للحظة إلى "إليزابيث"، حتى لفتانتباهها، وهو يقول:

- من تقصد؟

إلا أنه انسحب، وقال ببرود:

- إنها مقبولة، ولكنها غير جميلةبما يكفي لإغرائي، أنا لستُرائقَ المزاج في الوقت الحاضر لإعطاء أهمية للفتيات اللاتي يتعرضن للإهانة من قبل الرجال الآخرين، هيا، من الأفضل لك العودة إلى شريكتك في الرقص، والاستمتاع بابتسامتها، لأنك تهدر وقتك معي.

اتبع السيد "بينجلي" نصيحته..وخرج السيد "دارسي"..

وبقيت "إليزابيث" هناك وهي لا تكنّ له مشاعر وديّة على الإطلاق.

ومع ذلك، فقد أخبرت "إليزابيث" القصة بروح رائعة بين صديقاتها في مرح، لأنها كانت لديها تصرفات مرحة ونابضة بالحياة، والتي كانت تواجه بالضحك والمرح أي شيء سخيف.

مرّت الأمسية عموماً بكل سرور لجميع أفراد الأسرة.

وكانت السيدة "بينيت" قد شاهدت ابنتها الكبرى تحظى بإعجاب كبير من مجموعة نيذرفيلد، كما رقص معها السيد "بينجلي" مرتين، وكانت مميزة وموقرة من أخواته، كما كانت جين نفسها مسرورة جداً لهذا الأمر مثلما كانت والدتها، وبطريقة أكثر هدوءًا، شعرت "إليزابيث" بسعادة"جاين"، وكانت سعيدة لها.

كانت "ماري" قد سمعت بنفسها ما ذُكر من أن الآنسة"بينجلي"هي أنجح فتاة في الحي، وكانت "كاثرين" و"ليديا" محظوظتان بما يكفي لعدم وجودهما أبداً

بدون شريك للرقص في الحفلات الراقصة، وهذا هو كل ما تعلّمن الاهتمام به في الحفلات الراقصة.

وهكذا عُدن كلهن في حالة معنوية جيدة إلى "لونغبورن"، القرية التي يعشن فيها، والتي كن هنسكانها الرئيسيون، وقد وجدن السيد "بينيت" لا يزال مستيقظاً، وكان يقرأ في كتاب ولا يهتمبمرور الوقت، إلا أنه في هذه المناسبة، كان لديه فضول كبير فيما يتعلق بأحداث الأمسية التي أثارت هذه الآمال الرائعة، حيث كان يأمل بالأحرى أن تكون آراء زوجته بشأن الغريب مخيبة للآمال، لكنه سرعان ما اكتشف أن لديه قصة مختلفة لسماعها، فقد استقبلته السيدة "بينيت" بمجرد أن دخلت الحجرة بقولها:

- أوه! عزيزي السيد "بينيت"، لقد أمضينا أمسية ممتعة جداً، وحفلة رائعة ولا أروع منها، ولكم كنتُ أتمنّى لو كنتَ معنا هناك، كانت "جاين" قد حظيت بإعجاب الجميع، لا شيء يمكن أن يكون مثل ذلك، لقد أشاد الجميع بجمالها. كما أعجب السيد "بينجلي" بجمالها، حتى أنه رقص معها مرتين! فكر فقط في ذلك يا عزيزي، رقص فعلاً معها مرتين! وكانت هي المخلوق الوحيد في الغرفة التي طلب منها الرقص للمرة الثانية، في باديء الأمر، سأل الآنسة "لوكاس"، لقد كنتُ منزعجة للغاية لرؤيته يقف معها! لكن، مع ذلك، لم تعجبه على الإطلاق؛ في الواقع، لا أحد يستطيع أن يحصل على إعجابه، كما تعلم؛ وبدا أنه مندهش جداً من "جاين" وهي ترقص. لذا فقد استفسر عمّن

هي ومن تكون، وبعد أن قدّموها له، طلب منهاأن تشاركه الرقصتين التاليتين. ثم رقص الرقصة الثالثة مع الآنسة كينج، والرقصة الرابعةله كانت مع "ماري" "لوكاس"، وعاد مرة أخرى في الرقصة الخامسة فرقص مع "جاين" مجدّداً، وأما السادسة فكانت مع "ليزي"..

وصاح السيد "بينيت" بعد أن نفذ صبره:

- إذا كان لديه أي تعاطف معي.. فإنه لميكن ليرقص معها نصف عدد هذه الرقصات! من أجل الله، لا تقولي ليشيئاً عن شركائه في الرقص ، وقدالتوى كاحله!
- أوه! عزيزي، أنا مسرورة جداً به. إنه وسيم للغاية! كما أن أخواته ساحرات. لم أر أبداً في حياتي أي شيء أكثر أناقة من ملابسهن. وأما عن "ليزي"، فإنه يمكنني أن أؤكد لك أنها لن تخسر الكثير من خلال عدم تناسبها مع خيال وميول السيد "دارسي"، ورغباتهلأنه رجل بغيضوغير مُستحب، ومغرور جداً، ومُعجب بنفسه، إنه لم يكن يقف في مكان دائم أو ثابت! بل راحيمشى هنا، ويمشى هناك، يتخيل نفسه عظيمًا جدًا! رغم أنه ليس وسيماً بما فيه الكفاية للرقص معه! كنت أتمنى لو كنت أنت معنا هناك يا عزيزتي، أنا أكره هذا الرجل تمامًا.

*****

الفصل الرابع

عندما كانت "جاين" و"إليزابيث" وحدهما، أعربت الأولى، التي كانت حذرة في مدحها للسيد "بينجلي" من قبل، إلى شقيقتها عن مدى إعجابها الشديد به.. فقد قالت لها في وصفها له:

- إنه تماماًما يجب أن يكون عليه الشاب، حساس جداً، مليء بالحيوية ولم أقابل أحداً من قبل يتمتع بهذه السعادة،وهذه السلوكيات الجيدة،سهل التعامل معه، بسيط، كامل التربية والتهذيب..

فأجابت "إليزابيث"ضاحكة، وقد بدا عليها الإعجاب الشديد بشخصية "بينجلي":

- حقاً، إنه وسيم جداً، وهو شخص يبدو كامل الأوصاف، وهي الحال التي يجب أن يكون عليها الشاب، إذا استطاع إلى هذا سبيلاً، ولقد شعرتُ بالإعجاب الشديد والإطراء، عندما طلب مني أن أرقص معه مرة أخرى، ولم أكن أتوقع منه مثل هذه المجاملة..
- ألم تكوني تتوقعي ذلك؟ لقد توقعتُ أنا لكِ ذلك، لكن هذا هو الفرق الكبير بيننا، إن الإطراء والمديح دائماًما يأخذك على حين غرة، أما أنا فلا، ماذا يُمكن أن يكون أكثر طبيعية من أن يطلب منك مرة أخرى؟ إنه لم يستطع أن يرى أنكِ تبلغي نحو خمسة أضعاف جمال كل امرأة أخرى في الغرفة؛ لا بفضل لطفه مع النساء، أو كياسته، حسنًا، إنه بالتأكيد مقبول جدًا، وأنا أعطيك موافقتيلأن تُعجبي بهفلقد سبق

وأحببتِ العديد من الأشخاص الأغبياء، يا عزيزتي "ليزي"! فأنتِ على قدر كبير من الاستعداد، كما تعلمين، أن تحبي الناس بشكل عام، وأنتِ لا ترين خطأً في أي شخص، كل العالم همإناس رائعون، ومقبولون في عينيك، ومن وجهة نظرك، لم أسمع أنك تتحدثين بسوء عن أيّ إنسان في حياتك، إنّني لا أتمنى أن أتعجل أو أتهوّر في استهجان أيّ شخص، لكنني أتحدث دائمًا عن رأيي؛ وأقول ما أعتقد أنه صواب، أعلم أنكِ تفعلين كل ذلك، وهذا هو ما يخلق الإعجاب بالناس، مع مشاعرك الطيبةوالخاصة بكِ، وأن تتقبّلي حماقات وهراء الآخرين!

وهكذا تحبين شقيقات هذا الرجلأيضًا، أليس كذلك؟ كانت "ليزا" تستمع إلى كل هذا الحديث من أختها في صمت، لكنها لم تقتنع. لأن أخواته كُنّ في الحقيقة سيدات جميلات جداً، وقد حصلن على التعليم في أكبر المعاهد الدينية في المدينة، كما أن لديهنّ ثروة تُقَدّر بعشرين ألف جنيه استرليني؛ ولا تنقصهنّ الفكاهة الجيدة عندما يكنّ سعداء، ولقد كُنّوسيمات إلى حد ما؛ وكُنّ في العادة ينفقنَ أكثر مما ينبغي؛ كما أنهنّ ينتسبنَ إلى عائلة محترمة في شمال إنجلترا، ولقد ورث السيد "بينجلي" من الممتلكات ما يقرب من مائة ألف جنيه استرليني من والده، الذي كان ينوي شراء عقار، لكنه لم يعش للقيام بذلك.

رأى السيد "بينجلي" منزل نيذرفيلد ودخله وقضى فيه نصف ساعة؛ كان راضيًا عن حالته وموقعه، والغرف الرئيسية به، وراضيًا أيضاً عما قاله المالك في الثناء عليه، واشتراه على الفور..

كانت هناك بين السيد "بينجلي" وبين السيد "دارسي" صداقة ثابتة وقوية للغاية، على الرغم من التضادوالاختلاف الكبير بين الشخصيتين، فكان "بينجلي" محببًا لدى "دارسي" بسبب بساطته والصدق والصراحة، والليونة في مزاجه، وقد اعتمد على ذكاء "دارسي" القوي؛ وكان حكمه على الأمور حازماً؛ أما "دارسي" فقد كان ذكياً، وفي الوقت نفسه متكبرًا ومتحفظاً، ومتشائمًا، ولم تكن أخلاقه جذابة أو محببة، على الرغم من حُسن تربيته، وفي هذا الصدد كان لصديقه الميزة الكبيرة، حيث كان "بينجلي" واثقًا من أنه ينال الإعجاب أينما ظهر، بينما كان "دارسي" يُهاجَم باستمراروتوجّه له الإهانات والإساءة وكانت الطريقة التي تحدثوا بها عن جمعية مريتون مميزة بما فيه الكفاية؛ حيث لم يقابل "بينجلي" أبداً أشخاصاً أكثر بهجة أو فتيات أجملفي حياته؛ وكان الجميع كرماء لطيفون ومهتمون به؛ لم يكن هناك شكليات، ولا صلابة أو جمود، سرعان ما شعر بالتعرّف على كل من بالغرفة، وأما بالنسبة إلى الآنسة "بينيت"، فإنه لم يكن يتخيّل أو يتصوّر أن يرى ملاكًا أكثر منها جمالاً.

وعلى النقيض من ذلك، فقد رأى "دارسي" مجموعة من الناس لم يكن لديهم درجة من الجمال، ولا الذوق في اختيار الأزياء، ولم يشعر لأي منهم بأقل درجة

من الاهتمام، ولم يتلقّمن أيّ منهم أيّاهتمام أو سرور، أما عن الآنسة"بينيت"، فقد اعترف بأنها جميلة، إلا أنها تبتسم كثيراً، ولقد أعجبتْ بها؛ بل أحبتها، السيدة "هورست" وشقيقتها، وأعلنتا أنها فتاة جميلة، ولم يعترضن على معرفة المزيد عنها.

لذلك تم الإقراربأن الآنسة "بينيت " فتاة رائعة، وشعر أخوهما السيد "بينجلي"بأنه مخوّل بهذا الثناءللتفكير بها كيفما يختار، وحسب رغبته.

*****

الفصل الخامس

على مسافة قصيرة من "لونغ"بورن، عاشت عائلة لها علاقة حميمة، بشكل خاص؛ مع عائلة "بينيت".

كان السيد "وليام""لوكاس" يعمل سابقًا في التجارة في ميريتون، حيث حقق ثروة مقبولة، أو مُعتدلة، وترقّى إلى مرتبة الشرف، وحاز لقب فارسمن خلال خطاب ألقاه أمام الملك خلال رئاسة البلدية، وربما كان التمييز والشهرة قوياً للغاية، فقد أعطاه اشمئزازا وكراهية كبيرة لأعماله، ولمقر إقامته في بلدة ليس بها إلا سوق صغيرة، وعند مغادرة كليهما،انتقل مع أسرته إلى منزل يبعد ميلاً واحداً عن مريتون، حيث كان بإمكانه التفكير بسرور بأهميته الخاصة، وفك قيوده، وتحرر من الأغلال، وراح يشغل نفسه فقط بكونه مواطناً لجميع أنحاء العالم.

وكانت السيدة "لوكاس" من النوع الجيد من النساء، إلا أنها لم تكن ذكية جدًا لدرجة تجعلها جارة ذات قيمة للسيدة "بينيت".

وكان لديهم العديد من الأطفال، الأكبر منهم، كانت امرأة شابة حساسة وذكية، في حوالي السابعة والعشرين من عمرها، وكانت هي صديقة "إليزابيث " الحميمة.

وكانت الآنسة "لوكاس"، والآنسة "بينيت"، يجب أن يجتمعا للحديث حول الحفلة الراقصة، وكان ذلك ضرورياً للغاية.

قالت الآنسة "بينيت"للآنسة "لوكاس":

- لقد بدأتِ مساءً جيداً يا شارلوت؛ فقد كنتِ الخيار الأول للسيد "بينجلي".
- أجل، ولكنه بدا وكأنه يفضّل الاختيار الثاني.
- أوه! تقصدين "جاين"، أفترض ذلك، لأنه رقص معها مرتين، للتأكد من أنهيبدو كما لو كان معجبًا بها، في الواقع أناأعتقد أنه فعل ذلك – لقد سمعتُ شيئًا عن هذا الأمر، لكنني بالكاد أعرف شيئاً ما عن السيد روبنسون.
- روبنسون. ألم أذكر لك؟ لقد سأله السيد روبنسون عن مدى إعجابه بجمعيات ميريتون الخاصة بنا، وما إذا كان لا يعتقد أن هناك عدداً كبيراً من النساء الجميلات في الغرفة، ومن التي كان يعتقد أنها الأجمل؟ فأجابه على الفور على السؤال الأخير قائلاً: "أوه! الآنسة الأكبر "بينيت"، مما لا شك فيه، ولا يمكن أن يكون هناك رأيان في هذه النقطة.

*****

الفصل السادس

انتظرت سيدات "لونغ"بورن نساء نيذرفيلد لرد الزيارة؛ التي سرعان ما رُدّت بالشكل المناسب.كانت الآنسة "بينيت"سعيدة لما لمسته من حسن نوايا السيدة "هورست" والآنسة "بينجلي"؛على الرغم من أن الأم قد تبين أنها لا تطاق، وأن الشقيقات الأصغر لا يستحقان التحدث عنهن، وقد تم الإعراب عن الرغبة في التعرف بشكل أفضل عليهما، وقد استقبل هذا الاهتمام بسرور كبير من قِبل "جاين"، ولكن "إليزابيث" لا تزال ترى الغطرسة في تعاملهن مع الجميع، بالكاد باستثناء شقيقتها، ولم يُمكنها أن تحبهن؛ على الرغم من لطفهن مع "جاين"، كما كان لهذا قيمة متزايدة في كل الاحتمالات عن تأثير إعجاب أخيهنبأختها "جاين".

كان واضحًا بشكل عام كلماالتقيا، أنه معجب بها، وكان من الواضح بنفس القدر أن "جاين" كانت راضية عن التفضيل الذي كانت تستمتع به منذ البداية، وكانت في طريقها إلى الشعور بحالة حب كبيرة.

ذكرت هذا لصديقتها مس "لوكاس"؛ شارلوت، التي قالت لها:

- قد يكون الأمر ممتعًا أن يكون الإنسان قادرًا على أن يفرض نفسه عليالناس، ولكن في مثل هذه الحالة، لا تكون ميزة أن تكون مُراقباً من الجميع بهذا الشكل، وإذا أخفت المرأة عاطفتها بمهارة عن الشخص نفسه، فقد تفقد فرصة إصلاح الأمر أو ترسيخه، وبعد ذلك سيكون عزاء بائس أن تصدق أن العالم على قدم المساواة في الظلامولكن هناك

عدد قليل جداً منالذين لديهم القلب بما يكفي ليقع فعلاً في الحب دون تشجيع، في تسع حالات من بين كل عشر حالات، كانت النساء تُفضّلن أن تُظهرن عاطفة أكثر مما تشعرن به؛ إن السيد "بينجلي" مُعجببأختك بلا شك؛ ولكنه قد لا يفعل أكثر من أن يُعجَب بها، إذا لم تساعده، ولكنها فعلاً تساعده، بقدر ما تسمح به طبيعتها؛ وإذا استطعتُ أنا أن أدرك مدى احترامها له، فسوف يكون شخصاً أبلهاً أو غبياً، إذا لم يكتشف ذلك أيضًا. وتذكّري يا"إليزا"، أنه لا يعرف ميول وتصرفات "جاين"كما تعرفينها أنتِ، ولكن إذا كانت المرأة مولعةبرجل ما، ولم تحاول جاهدة أن تخفي عنه ذلك، فعليه أن يكتشف الأمر بنفسه، ربما يجب عليه أن يفعل ذلك، إذا رآها بما يكفي من الأوقات، ولكن، رغم أن "بينجلي" و"جاين" يلتقيان في كثير من الأحيان بشكل مقبول وجبد نوعاً ما، إلا أنه لم يكن معها لساعات طويلة، وبما أنهما يقابلان بعضهما بعضًا في حفلات مختلطة كبيرة، فمن المستحيل استخدام كل لحظة في التحدث معًا، لذلك يجب على "جاين" الاستفادة إلى أقصى حد ممكنمن كل نصف ساعة يمكنها من خلالها لفت انتباهه، فعندما تكون مطمئنة إليه، وتثق به، فسوف يكون هناك المزيد من الأوقات للوقوع في الحب بقدر ما تختار هي.

وأصغت إليها "إليزابيث" جيداً، ثم قالت لها:

- خطتك جيدة وواضحة، حيث لا يوجد شيء محل تساؤل، سوى الرغبة في الزواج، وإذا كنتُ قد قررتُ الحصول على زوج ثري، أو حتى أيّ زوج، فإنّني أجرؤ على القول بأنه يجب عليّ أن أتبنى خطتك، وأقبلها وأوافق عليها، ولكن هذه ليست هي مشاعر "جاين"، إنها لا تتصرف حسب رسم الخطط والتصميمات حتى الآن، إنها لا يُمكنها حتى أن تكون على يقين من درجة تقديرها الخاص أو معقولية ذلك، فلقد عرفته فقط منذُ أسبوعين، رقصت فيها أربع رقصات معه في مريتون، كما رأته في صباح أحد الأيام في منزله وتناولت الطعام معه في صُحبةآخرون أربع مرات؛ هذا لا يكفي لجعلها تفهم شخصيته ولا يبدو الأمر كما تصفينه، فمجرّد أن تكون قد تناولت معه العشاءفإن ذلك لا يُمكّنها إلا أن تتعرف على مدى شهيته للأكل، ولكن عليكِ أن تتذكّري أن أربع أمسيات قضياها معاً بصحبة بعضهما البعض، وأربعة أمسيات يمكن أن تكون كافية لفعل الكثير.
- نعم، إن هذه الأمسيات الأربعة قد مكّنتهما من التأكّد من أنهما يُحبان لعب الورق، خاصة لعبة " 21 "أكثر من التجارة ومجال الأعمالولكن معاحترامي لأيّ شخصية قيادية أخرى؛ فأنا لا أتخيّل أن الكثير من الأمور قد تم الكشف عنها جيداً.وإنّني أتمنى نجاح "جاين" من كل قلبي؛ وإذا كانت متزوجة منه من الغد، فإنّني أعتقد أن لديها فرصة جيدة للسعادة، كما لو كانت تدرس شخصيته لمدة اثني عشر شهرًا

والسعادة في الزواج إنما هي تماماً مسألة فرص، إذا كانت تصرفات كلا الطرفين معروفة في كل وقت جيدًا لبعضهما البعض أو متشابهة جدًا مسبقاً، فإنها لا تسهم في تراجع سعادتهما إليالمستوى الأقل، خلافاً لاستمرارهما دائمًا في الاتجاه نحو الاختلافات بشكل كافٍ بعد ذلك للحصول على نصيبهما من الكدر والانزعاج؛ ومن الأفضل معرفة أقل قدر ممكن من عيوب الشخص الذي سوف تقضين معه بقية حياتك.

- إنكِ تُضحكينني يا شارلوت؛ لكنكِتعلمين أن هذا ليس صواباً أو صحيحاً، وأنكِ لن تتصرفي أبدًا بهذه الطريقة بنفسك.

كانت "إليزابيث"مهتمّة جداً بمراقبة تطور اهتمام السيد "بينجلي "بأختها وعلاقته بها، بعيدة كل البعد عن ملاحظة أنها أصبحت هي نفسها موضع اهتمام بعض الشيء في نظر صديقه؛ وكان السيد "دارسي" في البداية بالكاد يقول أنها جميلة، ولقد كان في البداية ينظر إليها بدون إعجاب بالمرة؛ وعندما التقيا بعد ذلك في الحفلات وفي المقابلات التالية كان ينظر إليها فقط لكي ينتقدهاويقول لأصدقائه أنها بالكاد لديها بعض ملامح حسنة في وجهها؛ ولكنه سرعان ما بدت له ملامح الجمال في وجهها، وفي عينيها الرماديتين الرائعتين، كما بدأ يكتشف أنها أصبحت ذكية بدرجة غير معتادة بسبب التعبير الجميل في عينيها الجميلتين؛ فقد اضطر إلى الاعتراف بشخصيتها المرحة والسارة، على الرغم من تأكيده على أن أخلاقها لم تكن جزءاً من تلك الأخلاقيات الشائعة في العالم العصري، إلا أنه وجد نفسه أسيراً لهذا القوام الجميل وهذه السلوكيات المرحة.

وعن كل هذه المشاعر والتغيرات في رأيه حولها؛ ووجهة نظره تجاهها، لم تكن "إليزابيث" تعلم شيئاً أبداً، حيث أنه بالنسبة لها، لم يكن سوى الرجل الذي جعل نفسه غير مقبول في أيّ مكان، ولم يكن يظن أنها جميلة بما يكفي للرقص معه.

بدأ يرغب في معرفة المزيد عنها، ويتعرّف عليها على نحو أفضل؛ وكخطوة نحو التحدث معها بنفسه، حضر محادثاتها مع الآخرين، وفعل ذلك حتى لفت انتباهها هذا التصرّف، وانزعجت له كثيراً، لأنها اعتقدت أنه يفعل ذلك لكي ينتقدها وينتقد ما كانت تقوله.

وحدث أن كانت هناك حفلة كبيرة قد أقيمت في منزل سير "وليام" "لوكاس"، حيث تم إقامة حفلة كبيرة، وسرّها كثيراً أن ترفض مراقصته في هذا الحفل حين طلب منها أن ترقص معه، أما من ناحيته، فلم يؤثّر رفضها مراقصته على رأيه حولها، ولا على الطريقة التي بدأ يفكّر بها عن شخصيتها، حتى أن أخت السيد "بينجلي" الصغرى بدأت تلاحظ ذلك، وتدرك الطريقة التي راح يُفكّر بها في "إليزابيث"، ولم يسرّها ذلك، لأنه كان يتعارضمع الخطط التي وضعتها لنفسها، فهو شاب ثري ووسيم.

وسألت "إليزابيث" شارلوت:

- ماذا يعني السيد "دارسي" بالاستماع إلى محادثتي مع العقيد فورستر؟
- هذا سؤال يمكن للسيد "دارسي" فقط الإجابة عليه.
- ولكنه إذا فعل ذلك مرة أخرى بعد الآن، فإنّني سوف أخبره بالتأكيد أنني أعرف ما الذي يدور في رأسه، وماذا ينتظره من وراء ذلك، إنلديه

عين ساخرة للغاية، وإذا لم أبدأ بالحرص على نفسي والتصرّف معه بجسارة، فسوف أتحوّل قريباً إلى الخوف منه.

وعند اقترابه منهما بعد قليل، و دون أن يُبدي أن لديه أيّ نية للتحدّث، تحدّت الآنسة "لوكاس" صديقتها واستفزتها على أن تُحدّثه في مثل هذا الموضوع بنفسها؛مما جعلها تلتفت إليه مُباشرة وتقول له:

- ألا تظن يا سيد"دارسي"، أنني قد عبّرت عن نفسي بشكل غير عادي، عندما كنتُ أقنع العقيد فورستر بترتيبحفلةلنا في ميريتون؟

وبحيوية كبيرة، فهو موضوع يجعل السيدات أكثر حيوية ونشاطاً، قالت الآنسة "لوكاس":

- أنتَصارم وقاسيجداً عليها يا سيد "دارسي"، وهو ما سوف يحوّل الأمر قريبًا إلى مضايقة وإزعاج لها.

ثم وجّهت حديثها إلى إ"ليزا" قائلة:

- سأفتتح لك الحجة والذريعة يا إ "ليزا"، وستعرفين ما عليك فعله وقوله..

فقالت له إ"ليزا":

- أنت مخلوق غريب جداً! كإنسان في طريقه ليكون صديقًا! تريدني دائمًا أن أمثّل وأغنّي أمام أيّ فرد؛ أمام الجميع! إذا أخذني الزهو والغرور إلى منعطفموسيقي، لكنت لا تقدرني بثمن؛ لكن الأمر فعلاً كذلك، فأنا حقّاً لا أفضّل الجلوس أمام أولئك الذين يحبون أن يستمعوا إلى أفضل

الفنانين من باب العادة، كما تقول الآنسة "لوكاس" ولكن على أيّ حال، جيد جدًا، إذا كان الأمر كذلك، فلا بأس.

وألقت نظرة خاطفة على السيد "دارسي".. قائلة:

- هناك مثل قديم جيد، يعرفه كل من هنا بالطبع، يقول:

"حافظ على أنفاسك، لكي تبرّد بها العصيدة الخاصة بك"

وهكذا أنا سوف أفعل، فسوف أحافظ على أنفاسي، لكي أحافظ على أغنيتي.

كان أداءها ممتعًا، على الرغم من أنه ليس هناك من سبب جوهري على الإطلاق.وبعد أغنية أو اثنتين، وقبل أن تتمكن من الرد على التماساتبالعديد من الأغنيات التي كان عليها أن تغنيها مرة أخرى، نجحت بشدة بفضل شقيقتها "ماري"وعزفها على الآلة الموسيقية.

وقف السيد "دارسي" بالقرب منهم صامت في استياء من هذا النوع من الأمسيات التي قضاها في هذا المساء، واستبعاد كل المحادثة التي جرت، وكان منهمكاًفي أفكاره لدرجة أن السير "وليام ""لوكاس "، الذي كان يقف إلى جواره، قال له:

- يا لها من متعة ساحرة للشبابيا سيد "دارسي"!
- لا شيء يضاهي الرقص بعد كل هذا، أنا أعتبرها واحدة من أولى التطورات في المجتمعاتالمهذّبة.

- بالتأكيد يا سيدي، كما أن له ميزة أيضاً أن تكون من أحدث طراز بين المجتمعات الأقل تهذيباًوورواجاً في العالم.
- كل شخص همجيفظّ، يمكنه أن يرقص.

واكتفى سير وليام بالابتسام، بينما تابع السيد "دارسي" حديثه بعد أن رأى السيد "بينجلي" ينضم إلى المجموعة.. فقال:

- إن صديقك يؤدّي أداءً ممتعًا.
- لا أشك في أنك أنت نفسك حاذق في مجال الفن يا سيد "دارسي".
- لقد رأيتني أرقص في مريتون، كما أعتقد، يا سيدي.
- نعم، حقًا، ولم تحصل على أيّ متعة معقولة، أو يُمكن أخذها في الاعتباربمجرّد المشاهدة، هل ترقص في كثير من الأحيان في سانت جيمس؟
- لا يا سيدي.. إطلاقاً.
- ألا تعتقد أنها سوف تكون مجاملة مناسبة للمكان؟
- إنها مجاملة، ولكنّني لا أدفعها أبداً إلى أيّ مكانإذا كان بإمكاني تجنب ذلك.
- أعلم أنه لديك منزل في المدينة، إنّني أستنتج ذلك.

أومأ السيد "دارسي" برأسه قليلاً.. وتابع السير وليم:

- لقد فكرتُأنا نفسي ذات مرة في الإقامة في المدينة لأنّني مولع بالمجتمعات الفاخرة؛ولكنّني لم أكن متأكداً تمامًا من أن هواء لندن سوف يناسب السيدة "لوكاس"..

وتوقف مؤقتًا ينتظر التعليق من محدّثه.. لكن رفيقه لم يكن مستعداً للتعليق فقد كانت "إليزابيث" في تلك اللحظة تتجه نحوهما، وانشغل بفعل شيءلطيف للغاية لها كسيدة، وحدّثها قائلاً:

- عزيزتي الآنسة إ"ليزا"، لماذا لا ترقصين؟

ثم توجّه بالحديث إلى رفيقه قائلاً:

- سيد "دارسي"، أرجو أن تسمح لي بتقديم هذه السيدة الشابة لك كشريكة مرغوب فيها للغايةفي رقصة لا يمكنك أن ترفضها، فأنا متأكد من أن الجمال الساحر يقف هنا أمامك الآن..

وبينما كان يقول ذلك، مدّ يده وأمسك بيدها، وكان يهم بأن يعطيها للسيد "دارسي"، الذي، على الرغم من دهشته البالغة، لم يكن يرغب في الإمساك بيدها، في نفس اللحظة التي سحبت فيها يدها، وقالت مع بعض الانزعاج والاضطرابللسير "وليام":

- في الواقع، يا سيدي، أنّني ليس لديّ أدنى نية للرقص، بل أطلب منكماألا تفترضا أنني تحركتُبهذا الاتجاه من أجل طلب شريك.

وبحرج شديد وأدب جم، طلب السيد "دارسي" منها السماح له بشرف يدها ولكن دون جدوى، فقد كانت "إليزابيث" مصممة، كما لم يستطع السيروليام أن يُثنيها عن عزمها على الإطلاقمن خلال محاولاته لإقناعهابالموافقة؛ فقال لها :

- إنكِ تتفوقين على الجميع كثيراً في الرقص، يا آنسة إ "ليزا "، ومن القسوة أن تحرميني من سعادتي برؤيتك، وعلى الرغم من أن هذا الرجل المُهَذّب يكره الترفيه بشكل عام، إلا أنه ليس لديه أيّاعتراض وأنا متأكد، من أن يصنع لنا جميلاً، ويتركنا لمدة نصف ساعة.

قالت "إليزابيث" وهي تبتسم:

- إن السيد "دارسي" هو رجل مهذب للغاية.
- إنه كذلك بالفعل، ولكن بالنظر إلى الإغراء، عزيزتي الآنسة إ'ليزا"، لا يمكننا أن نندهشلكياسته ولطفه، ومن ذا الذي يمكنه أن يعارض مثل هذه الشريكة؟

نظرت "إليزابيث" بفتنة؛ ورفضت، وسارت في طريقها، ولم تجرح مقاومتها ورفضها هذا الرجل المُهَذّب، بل كان يفكر فيها بشعور من الرضا.ولذلك عندما اقتربت منه الآنسة "بينجلي" قائلة:

- أستطيع أن أخمّن السبب وراء شرودك وجموح أفكارك.
- أتخيّل أنكِ لا تستطيعين؛ بل يمكنني أن أؤكد لكِ أنني أتأمل في مدى السرور البالغ الذي يهبه للرجل هذا الزوج الرائع من العيون في وجه امرأة جميلة.

وفي دهشة ثبتت الآنسة "بينجلي" عينيها على وجهه، وطلبت منهأن يخبرها من هي المرأة التي تستحق منه هذا المديح والثناء!

أجابها السيد "دارسي" بالكثير من الجرأة:

- إنها الآنسة "إليزابيث" "بينيت".

كررت الآنسة "بينجلي" ما سمعته من اسم المرأة التي يعنيها:

- الآنسة "إليزابيث" "بينيت"! إنني في غاية الدهشة. ومنذ متى وهي تحظى بهذا القدر من الحب والتفضيل لديك؟ إنّني طبعاً أتمنى لك السعادة بلا شك.

أربكتها المفاجأة، وأخبرها كيف أن هذه الآنسة الساحرة هي التي كان لها الفضل في إلهامهبمثل هذه الخواطر، وقال ببساطة:

- هذا هو بالضبط السؤال الذي كنتُ أتوقع منكِ أن تطرحينه، إن الموضوع كان سريعاً للغاية، حيث راحت الأمور تقفز من الإعجاب إلى الحب، ثم من الحب إلى الرغبة في الزواج، هكذا في لحظة، وقد كنتُ أعلم أنكِ سوف تتمنّين ليَ السعادة.
- كلا، إذا كنتَ جادًا في الأمر، فساعتبر أن الموضوع قد تم حله تمامًا؛ وسوف يكون لديك حماة ساحرة، في الواقع؛ وبالطبع، سوف تكون دائمًا في "بيمبرلي" معك.

*****

الفصل السابع

كانت ملكية السيد "بينيت" تتألف بالكامل تقريبًا من عقار يحقق له دخلاً سنوياًقيمته ألفين جنيه في العام، والذي كان، لسوء الحظ بالنسبة لبناته، سوف يذهب إلى أقرب وريث ذكر من أقربائه، بعد موت أبيهن ولن يذهب إليهن، كان هذا القريب هو ابن العم، ولم يقابلنه من قبل، وكان هناك مبلغ صغير من المال من جانب عائلة الأم، ولكن بعد موت أبيها ذهب كل شيء إلى زوج أختها، السيد فيليبس، وليس إلى السيدة "بينيت".

وعاش السيد والسيدة فيليبس في بلدة مريتون الصغيرة، والتي تقع على مسافة ميل واحد من مدينة "لونغ "بورن، ولهذا فقد كانا يرين أختهن وبناتها باستمرار. وفي الفترة الأخيرة أصبحت الزيارات أكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لبنات"بينيت" الأصغر سناً؛ "ليديا" وكاترين على وجه الخصوص، وكان السبب يكمن في أن بعض ضباط الجيش كانوا يمضون بضعة أشهر في البلدة، ويظلون هناك طيلة الشتاء.

وعند كل زيارة لمنزل الخالة، كانت البنات الأصغر سناً يعرفن المزيد من اسماء الضباط، وبعض المعلومات عنهم، وأين يقيمون، كل هذه المعلومات وبإسهاب، لم تعد سراً بالنسبة لهن، حتى تعرّفن على الضباط أنفسهم، حيث كان كل ما يشغلهن هو الحديث عن الضباط.

حتى السيد "بينجلي" وثروته لم يعد مثيراً لاهتمامهن، بالمقارنة بضباط الجيش الشباب ذوي المعاطف الحمراء.

وكان السيد فيليبس يزورهم جميعاً، وهو ما فتح لبنات أخته أبواب سعادة لم تكن معروفة من قبل.

وقد بدأت "ليديا" بمنتهى عدم الاكتراث، تستمر في التعبير عن مدى إعجابها بالكابتن كارتر، ورغبتها في أن تراه طوال ساعات اليوم.

صاحت "ليديا" تنادي أمها:

- ماما، إن عمتي تقول أن الكولونيل فوستر والكابتن كارتر لم يعوداايذهبان غالباً إلى منزل السيدة واتسون، كما اعتادا من قبل عند بداية قدومهما إلى هنا، وأنها تراهما الآن غالباً يقفان في مكتبة كلارك.

وامتنعت السيدة "بينيت" عن الردّ، بسبب دخول أحدهم بمذكّرة من أجل السيدة "بينيت"، وكانت قادمة من نيذرفيلد.

واتّسعت عينا السيدة "بينيت" من الدهشة والسرور.

وانتظر الخادم للحصول على الردّ.

وراحت بسعادة تنادي ابنتها وتسألها بشوق، بينما كانت "جاين" تقرأ الرسالة :

- حسناً يا "جاين"، ممّن هذه الرسالة؟، وبخصوص ماذا؟، وماذا يقول فيها؟، جيد جداً يا "جاين"، أسرعيوأخبرينا، هيا أسرعي يا حبيبتي.

وكانت الرسالة موجهة إلى "جاين" من أختيّ السيد "بينجلي " في نيذرفيلد هول، وبدت السعادة في عينيّ السيدة "بينيت"، ولم تستطع أن تنتظر لتسمع ماذا كان في الملاحظة.

وراحت "جاين" تقرأ الرسالة بصوت مسموع :

" صديقتي العزيزة، إذا لم تكُني متعاطفة مع فكرة تناول الطعام مع لويزا ومعي، فسوف نكون في خطرمن كراهيةبعضنالبعض، لبقية حياتنا، فإن المواجهة بين امرأتين طوال اليوم لا تنتهي أبدًا بدون شجار، تعالي بأسرع ما يمكنكِفوراستلام هذه الرسالة، أخي والسادة سوف يتناولون

العشاء مع الضباط.

المخلصة لكِ للأبد

كارولاين "بينجلي" "

وهكذا، كانت الدعوة ل"جاين"، لكي تذهب إلى الغداء مع السيدتين، كما كان السيد "بينجلي" وأصدقاؤه سيتناولون الغداء مع الضباط في مريتون، ولذلك سوف تكون السيدات وحدهن.

وصاحت "ليديا" :

- إنني أندهش، لماذا لم تُخبرنا عمتي من قبل بهذا؟

وسألت "جاين" السيدة "بينيت" :

- أماه.. هل لي أن أنتقل بالعربة؟
- لا يا عزيزتي، من الأفضل لكِ أن تذهبي على ظهر الحصان، فالمطر سوف يهطل حالاً، وهو ما قد يجعلكِ تمكثين الليل بطوله.

وكان من المستحيل أن تذهب "جاين" إلى نيذرفيلد بالعربة، وعلى أيّ حال، فقد أصرّت السيدة "بينيت" أن تذهب "جاين"على متن الحصان.

وهكذا انطلقت "جاين" على صهوة الحصان، ولكن السماء بدأت حقّاً تُمطر بغزارة بعد مرور وقت قصير، ولم تختفِ "جاين" عن الأنظار قبل أن تمطر بشدة، واستمرت الأمطار تتدفّق طيلة المساء بلا انقطاع.

يقيناً، إن "جاين" لن تتمكّن من العودة.

كان الجميع يشعر بالقلق عليها، إلا الأمّ، كانت مسرورة! وقالت في نفسها مُبتهجة:

"لقد كانت فكرتي هذه جيدة وسارّة".

وكانت فكرتها هي أنه من المحتمل أن تُمطر، وتمنّت أن تظل "جاين" في نيذرفيلد، حتى تُتاح لها فرصة أن تكون مع "بينجلي" في الصباح التالي.

وفي الصباح كانت "إليزابيث"؛ وقد أخذها القلق على أختها، قد قررت أن تذهب إليها في نيذرفيلد على الفور بعد تناول طعام الإفطار.

صاحت فيها والدتها منفعلة:

- كيف يمكنكِ أن تكوني سخيفة لهذا الحد؟ وكيف تفكّرين في شيء من هذا القبيل، عندما تصلين إلى هناك، بعد السير في كل هذا الترابلن تكوني على نحو لائق.
- سأكون لائقة جدًا لرؤية "جاين"، وهذا كل ما أريده.

فقال لها الوالد مُبتسماً:

- هل هذا تلميح لي يا "ليزي"، لكي أرسل في طلب الخيول؟

- لا، في الواقع، لا أرغب في تجنب المشي، فالمسافة ليست طويلة جداً، خاصة عندما يكون لدى الشخص دافع، إنها ثلاثة أميال فقط..

وأثناء تناول طعام الإفطار، وصل خادم من نيذرفيلد مع رسالة موجّهة إلى "إليزابيث" من "جاين"؛ تقول فيها:

"عزيزتي "ليزي"، لستُ في صحة جيدة هذا الصباح، بعد أن تبلّلت ثيابي بالمطر أمس، لم يسمح لي أصدقائي اللطفاء هنا بالعودة إلى البيت إلى أن تتحسّن صحّتي، وقد أرسلوا في طلب طبيب من أجلي، أعاني من احتقان بالحلق وصداع، ولكن هذا ليس خطيراً"

انطلقت "إليزابيث" سيراً على الأقدام في طريقها إلى أختها في نيذرفيلد، كانت الأمطار بعد أن بللت الأرض بالأوحال، قد لطّخت ثيابها، ولم تكترث "إليزابيث" لمظهرها، بل واصلت المشي بمفردها، عبر الحقول بخطى سريعة والقفز فوق الأحجار، فلم يكن الطريق ممهّداً، وبعد بذل المزيد من النشاط والصبر والتحمّل، وجدت نفسها في النهاية تنظرّ إلى المنزل، وقد بدأت قدماها تؤلمانها، والكاحلين أصابهما الإرهاق، والجوارب القذرة من أثر الأوحال أصبح شكلها منفّراً، ووجها متوهّج مع تأثير المشي بهمة ونشاط، كان الجميع قد حضروا لتناول طعام الإفطار، ما عدا "جاين" التي أسعدها كثيراً وجود "إليزابيث " المفاج ىء، رغم مظهرها غير اللائق، ولكنها تعلم أن "ليزا" كان عليها أن تسير ثلاثة أميال في وقت مبكر من اليوم، في مثل هذا الطقس القذر، لكي تحضر إليها.

كما كان أمرًا مدهشًا تقريبًا للسيدة "هورست " والآنسة "بينجلي "أن تحضر "ليزا" في هذا الوقت المبكر من الصباح بمفردها في هذا الطقس القاسي.

وكانت "إليزابيث" مقتنعة بأنهم من داخلهم احتقروا شكلها المُذري، ولكنها لم تكن لتهتم لأمرهم؛ فقد كان الأهم بالنسبة لها هو أن تقابل أختها "جاين"؛ إلا أن الجميع استقبلها بأدب وترحيب شديدين، كما كانت هناك روح من الدعابة والعطف.

أما عن السيد "دارسي" فقد قال القليل جداً من الكلمات؛ التي تعبر عن إحساسه بوجهها المتوهّج والذي يعكس قدراً من الحسن والجمال، بعد السير لمسافة طويلة في الهواء الطلق!.

والسيد "هيرست" كان يكتفي بالمشاهدة صامتاً، ولم يقل شيئاً على الإطلاق.

وسُرّت "جاين" لرؤيتها؛ وفعلاً لم تجدها "إليزابيث " في صحة جيدة على الإطلاق فاعتنت بها خلال ساعات النهار، وجاء الطبيب وأعاد فحصها ونصحها بالبقاء في الفراش حيث أن البرد الذي أصابها كان عنيفاً.

وفي الساعة الثالثة، حين كانت "إليزابيث" على وشك أن تعود إلى "لونغ" بورن بدا أن "جاين " منزعجة جداً لأنها كانت سوف تغادر، إلا أن الآنسة "بينجلي" عرضت على "إليزابيث" غرفة لكي تقيم فيها، وأرسلت خادماً إلى "لونغ" بورن لكي يُحضر المزيد من الملابس لهن كلتهن، وعندما انتهى الإفطار، بدأت "إليزابيث" تعبّر لهم عن إعجابها بهم، وامتنانها لما رأته من مقدار المودّة

والعطف الذي أظهروه لأختها "جاين"، وعندما تركتها الآنسة "بينجلي" معاً، لم تحاول سوى القليل من التعبير عن الامتنان للعطف اللطيف الذي عوملت به..

ومع مرور الوقت أصبحت الآنسة "بينيت" محمومة للغاية على الرغم من رعايتها والاهتمام بها، ولم تكن قادرة على الخروج من غرفتها، وكانت "إليزابيث" سعيدة بأن استطاعت الحضور إليها على الفور، كما كانت "جاين" تعبّر لها عن توقها لمثل هذه الزيارة، وسعادتها بمجرّد دخول "ليزا" إليها ورؤيتها.

وجاء الطبيب، وبعد فحص مريضته، قال:

- إن نزلة البرد التي أصيبت بها عنيفة، وأن عليها أن تسعى إلى تحسين حالتها، وأنصحها بعدم مغادرت الفراش.

إلا أن نوبة ارتفاع الحرارة كانت تتزايد، كما زادت الأعراض المحمومة، وأصابت رأسها بحدة.

ولم تغادر "إليزابيث" غرفتها للحظة، ولم تكن السيدات الأخريات غائبات في الغالب.

*****

الفصل الثامن

في الساعة الخامسة انشغلت السيدتانبارتداء الملابس، وفي الساعة السادسة والنصف تم استدعاء "إليزابيث" لتناول العشاء.

وبقيت "إليزابيث" بضعة أيام في نيذرفيلد تمرّض أختها وترعاها على خير وجه، وقد أسعدها أن تعود "جاين" لاسترداد صحتها رويداً رويداً.

وأثناء وجبات الطعام غالباً ما بقيت بصحبة السيد "بينجلي" وأختيه، والسيد "دارسي"، وبينما كانت تراقبه عن قربكانت قد لاحظت مدى الاهتمام الذي توليه إياه أخت السيد "بينجلي" غير المتزوجة، وعلى نحو مستمر، وممنهج ولكنها لاحظت أيضاً أنه كان يُثبّت عينيه على عينيها لفترات طويلة عن عمد، إلا أنها لم تكن قادرة على فهم السبب وراء ذلك، بل وجدت أن هذا غريباً جداً، ولكنها لم تحاول فعل شيء من شأنه أن يوقف هذا، كما لم تفعل شيئاً حتى لكي تغير هي نفسها من وجهة نظرها تجاهه، بل تركت نفسها عامدة للميل إليه، ولم تكن ترغب في مقاومة هذه المشاعر، غير مبالية ما إذا كان قد مال إليها، أو لا.

في الحقيقة، كان السيد "بينجلي" هو الشخص الوحيد في نيذرفيلد، الذي كانت تستمتع بصحبته، حيث كان من الواضح أنه مهتم جداً بمرض"جاين"؛ ويكرر سؤاله عنها وعن صحتها ومدى تماثلها للشفاء باهتمام وإخلاص شديدين.

بعد بضعة أيام أصبحت "جاين" قادرة على النهوض ثانية من الفراش، ولفّتها "إليزابيث" مُدفئة إياها من البرد الشديد، ومشت معها، وهبطتا الدرج إلى غرفة المعيشة لكي تنضما إلى السيدتين الأخريين، لم يكن هناك أحد من السادة الرجال،

ولكن بعد قليل حضرا، ولم يكن من الصعب إدراك مدى السعادة التي أضاءت وجه السيد "بينجلي" فور رؤيته "جاين" معافاة مرة أخرى وبدأت تسترد صحتها، وكم كان مهتماً بها، حريصاً على أن يعرف مدى دفئها، وكم هي مستريحة وفي أفضل حال، ويطلب أن تكون في أقرب مكان من نيران التدفئة، كما لم يكن مهتماً بإجراء الأحاديث مع غيرها ممّن بالغرفة، وانعكس كل هذا بالسرور على "إليزابيث"، بينما كانت في الغرفة في أحد الأركان مشغولة بأعمال الحياكة، بينما تراقبهما بعينين تنطقان بالسعادة.

كانت الأخوات يكرّرن، عند سماع خبر إصابة "جاين" بالبرد الشديدثلاث أو أربع مرات مدى حزنهن، ومدى صدمتهن من إصابتهابهذه النزلة السيئة، ومدى كرههن لمرضها، وبعد ذلك لا يفكرن في الأمر؛ ولامبالاة منهن تجاه "جاين "، عندما لم تكن أمامهن مباشرة، فكان هذا هو ما أعاد "إليزابيث" إلى التمتع بكل كرهها السابق لهن.

في الواقع، كان شقيقهن هو الشخص الوحيد في الصحبة الذي كان بإمكانهاأن تنظر إليه بأيّ قدر من الرضا عن النفس؛ فقد كان قلقه على "جاين " واضحًا وكان اهتمامه بها أكثر إرضاءً.

كانت الآنسة "بينجلي"منهمكة معالسيد "دارسي"، ولم تكن شقيقتها أقل من ذلك، أما بالنسبة للسيد "هورست"، والذي جلست "إليزابيث"بجواره، فقد كان رجلاً متسامحًا، كان يعيش فقط لتناول الطعام والشراب ولعب الورقوالذي عندما وجدها تفضل طبق عادي من اليخني لم يكن لديه ما يقوله لها.

عندما انتهى العشاء، عادت مباشرة إلى "جاين"، وبدأت الآنسة "بينجلي " في الإساءة إليها بمجرّد خروجها من الغرفة.

- لقد كانت أخلاقها سيئة للغاية بالفعل، وهي مزيج من الكبرياء والوقاحة، لم يكن لديها أسلوب جيد للمحادثة، ولا أناقة، ولا جمال.

وكان هذا هو أيضاً رأي السيدة "هورست" حول "إليزابيث"، بل أضافت أنها ليس لديها شيء بالمرة، باختصار، لا توصي بها، إلا أنها ممتازة في التنزّه..وقالت:

- أنا لن أنسى أبداًمظهرها هذا الصباح، لقد بدت حقًا شبه متوحشة.
- لقد كانت كذلك بالفعل، لويزا، بالكاد استطعت الحفاظ على ملامحي حتى لا يبدو عليها الدهشة، لا معنى لها أن تأتي على الإطلاق! لماذا كان عليها أن تركض خلال الحقول؟ هل كان ذلكحقاً لأن أختها أصيبت بنزلة برد؟ لقد كانشعرها قذراً وغير مرتب للغاية.

وإمعاناً في الإساءة إلى إ"ليزا".. قالت لويزا:

- نعم، وتنورتها، آمل أن تكوني قد رأيتِتنورتها، لقد لطختها ست بوصات من الوحل.

قال السيد "بينجلي" للردّ على هذه الإساءات المتتالية لشخصية "إليزابيث":

- ربما تكون صورتك دقيقة للغاية يا لويزا؛ لكن هذا كله ضاع منوجهة نظري، وسقط من اعتباراتي، فقد بدا لي أن الآنسة"إليزابيث" "بينيت" جيدة بشكل ملحوظ، عندما دخلت الغرفة هذا الصباح.

فقالت الآنسة "بينجلي"، التي لم تكن في صفه:

- لقد لاحظت ثيابها القذرةيا سيد "دارسي"، وأنا متأكدة أنك لا ترغب في رؤية أختك تقوم بمثل هذا العمل.
- بالتأكيد لا.
- السير ثلاثة أميال أو أربعة أميال أو خمسة أميال أو أيًا كانت المسافة وقد توحلت قدميها، ولطخت الأوحال فوق كاحليها بالأوساخ؛ وحدها تماماً! ماذا يمكنها أن تعني بذلك؟ يبدو لي أن هذا هو نوعًكريه من الاستقلال المغرور، وهو لا مبالاة في معظم البلدات الريفية بالذوق واللياقة.

قال السيد "بينجلي"، وقد لاحظ أن الآنسة "بينجلي" تهمس:

- إن هذا يُظهر المودّة والعاطفةالشديدة لأختها، وهو عمل سارّ جداً إنّني أخشى يا سيد "دارسي" أن هذه المغامرة كان لها الأثر الكبير في إعجابك بعينيها الجميلتين.
- كلا، على الإطلاق، لقد كانت عيناها تلمعان بسبب معاناتها طوال الطريق.

وجاءت فترة توقف قصيرة من الصمت بعد هذا الخطاب، ينظر أحدهم للآخر.

وبدأت السيدة "هورست"مواصلة الحديث مرة أخرى:

- لديّ تقدير مفرط للآنسة "جاين" "بينيت"، إنها حقًا فتاة جميلة جدًا، وأتمنّى من كل قلبي أن تكون قد شفيت بشكل جيد، لكن مع مثل هذا

الأب وهذه والأم، ومثل هذه الاتصالات والعلاقات المتدنية، أخشى ألا تكون هناك فرصة لها، اعتقد أنني سمعت أنك تقول إن عمهم يعمل محامٍ في ميريتون.

وأضافت أختها قائلة:

- نعم؛ ولهاعمآخر يعيش في مكان ما بالقرب من شيبساید.

وضحكن بشدة من قلبيهن..

قال السيد "بينجلي":

- إذا كان لديهنعدداً كافياً من الأعمام لملء شيبساید؛ فلن يجعلهنذلك أقل قبولاً مثقال ذرّة.

فقال السيد "دارسي":

- ولكن ذلك يقلّل من الناحية المادية من فرصتهن في الزواج من الرجال المحترمين في أي مكان في العالم.

ولم يحاول السيد "بينجلي" الرد على هذه الآراء.

لكن أخواته أعطينه موافقتهن القلبية.

وأطلقن العنان لسرورهن وضحكاتهنلبعض الوقت على حساب علاقاتهن المبتذلة مع صديقتهن العزيزة.

ومع التحوّل إلى الرقة، بعد كل ما حدث منهن، ذهبن إلى غرفتها بعدمغادرتهن صالة الطعام، وجلسن معها حتى استدعين إلى تناول القهوة إلا أنها كانت لا تزال في حالة صحية سيئة للغاية، ولم تتركها "إليزابيث" على الإطلاق، حتى وقت

متأخر من المساء، عندما شعرت بالراحة عند رؤية أختها نائمة، وعندها بدا لها حقًا إلى حد ما أنها يُمكنها أن تذهب إلى الطابق السفلي، وعند دخولها إلى قاعة الرسم، وجدت المجموعة بأكملهامشغولة بلعب الورق، ودُعيت على الفور للانضمام إليهم، لكن عندما اشتبهت في أنهم يلعبون بمبالغ عالية، رفضت بلطف الانضمام إليهم، متعللةبمرض أختها، قائلة إنها سوف تقوم بتسلية نفسها لوقت قصير أو لأقصر وقت يمكنها أن تبقى فيه بعيدة عن أختهافي الأسفل، ربما مع كتاب، أو ما شابه

نظر السيد "هيرست" إليها بدهشة، يسألها:

- هل تفضّلين القراءة على لعب الورق؟

وعلّقت الآنسة "بينجلي" قائلة:

- هذا شيء فريدجداً، إنالآنسة إ"ليزا""بينيت" تزدري لعب الورق وهي قارئة عظيمة، ولا يسعدها أي شيء آخر.

فقالت "إليزابيث" بنبرة تواضع مع ابتسامة خفيفة:

- أنا لا أستحق هذا الثناء، كما أنّني لا أستحقمثل هذا اللوم؛ فأنا لستُ قارئة عظيمة، وأجد سعادتي في أشياء كثيرة.

فقال "بينجلي" ردّاً عليها:

- إنكِ تجدين سعادتكِ مثلاً في تمريض أختك، ونحن نثق في ذلك؛ ونتمنّى أن تزداد سعادتكِ بتمام شفاءها.

وشكرته "إليزابيث" من قلبها، ثم سارت نحو الطاولة حيث كانت هناك بعض الكتب، وعلى الفور عرض عليها أن يجلب لها بعض الكتب الأخريقائلاً:

- إنّني أقدّم لكِ كل ما فيالمكتبه، وأتمنّى أن تُحقّق مجموعتي هذه لكِ أكبر استفادة، وأن تكون مفخرة لي، وعلى الرغم من أنني رفيقكسول، ورغم أنّني ليس لديّ الكثير من الكتب، إلا أنني لديّ أكثر مما قرأتفي أيّ وقت مضى.

فأكّدت له "إليزابيث" أنها يُمكنها أن تختاربنفسها ما يلائمها تماماً من الكتب الموجودة فعلاً في الغرفة.

وقالت الآنسة "بينجلي":

- لقد دهشتُ أن أبي لم يترك إلا هذه المجموعة الصغيرة من الكتب، يا لها من مكتبة رائعة تلك الموجودة في بيمبرلي يا سيد "دارسي"!

أجاب السيد "دارسي" قائلاً:

- لقد كان يجب أن يترك مكتبة جيدة، فهي نتاج عمل العديد منالأجيال.
- ثم أضفتَأنتَ بنفسك الكثير من الكتب، فكنتَ دائماًتشتري الكتب.
- لا أستطيع أن أفهم إهمال مكتبة العائلة في مثل هذه الأيام.
- إهمال! أنا متأكدة من أنك لا تُهمل أي شيء يمكن أن يضيف إلى جمال هذا المكان النبيل.

ثم توجّهت إلى تشارلز بالحديث:

- تشارلز، عندما تقوم ببناء منزلك، أتمنّى أن يكون في نصف بهجة بيمبرلي.
- أتمنّى ذلك.
- ولكنني أنصحك حقًا بإجراء عملية الشراء في هذا الحي، واتخاذ بيمبرلي نوعاً من النماذج، لا توجد مقاطعة أرقى أو أجمل في إنجلترا من مقاطعة "ديربيشاير"..
- من كل قلبي، سوف أشتري "بيمبرلي" نفسها إذا كان "دارسي" يبيعها لي.
- أنا أتحدث عن الاحتمالات يا تشارلز.
- أنا عند كلامي ياكارولين، يجب أن أعتقد أنه من الممكن جداً الحصول على بيمبرلي عن طريق الشراء وليس بالكذب.

كانت "إليزابيث" مقبوضة جداً بما حدث، وحاولت أن تخرج عن اهتمامها بالكتاب، وسرعان ما وضعته جانباً، واقتربت من طاولة لعب الورق، ووجدت لها مكاناً بين السيد "بينجلي" وأخته الكبرى، لمراقبة اللعبة.

قالت الآنسة "بينجلي":

- هل الآنسة "دارسي" كبرت كثيراً منذ الربيع؟وهل سوف تكون طويلة مثلما أنا؟ أعتقد أنها سوف تكون؛ إنها الآن بقدر طولا لآنسة "إليزابيث" "بينيت"،أو أطول من ذلك بقليل؛ لكم أشتاق لرؤيتهامرة أخرى! إنّني لم يحدث أن قابلت أيّ شخص آخر أبهجني بقدرما

أبهجتنيمثل هذه الملامح، ومثل هذه السلوكيات! كم هي بارعة جداً بالنسبة لسنها!

وقالالسيد "بينجلي":

- إن أداءها على البيانو رائع، إنه لأمر مدهش بالنسبة لي، كيف يمكن للسيدات الشابات أن يتحمّلن الصبر حتى يكنّبارعات للغايةبقدر ما هنّ جميعهن بارعات.
- عزيزي تشارلز، ماذا تقصد؟ نعم، كلهن بارعات على ما أعتقد.

قال السيد "دارسي":

- يجب أن يكون لدى المرأة معرفة شاملة بالموسيقى والغناء والرسم والرقص واللغات الحديثة، وإلى جانب كل هذا، يجب عليها أن تمتلك شيئًا معينًا في طريقة سيرها أو نغمة صوتها أو خطابها أو تعبيراتها، ولكي تحقق كل ذلك، يجب عليها أن تضيف شيئًا أكثر جوهرية في تحسين عقلها من خلال القراءة الموسعة.

وغادرت "إليزابيث" الغرفة في صمت بعد ذلك بفترة قصيرة.

وبعد أن أغلقت الباب خلفهاقالت الآنسة "بينجلي":

- إن "إليزابيث" "بينيت" هي واحدة من هؤلاء السيدات الشابات اللاتي يسعين إلى التزكية بأنفسهن للجنس الآخر، من خلال التقليل من شأنهن، واتفق مع الكثير من الرجال، أن هذا الأمرينجح معهن؛ ولكنفي رأييإنها وسيلة تافهة، وحيلة رخيصةللغاية.

قال السيد "دارسي" معلقاً، وقد علم أن هذا التلميح كان موجهاً إليه بشكل رئيسي:

- لا شك في هذا، فهناك دونيّة في كل الحيل التي تجتذب بها السيدات الرجال أحيانًا، أياً كانت الدناءة التي تحملهاهذه الحيل الماكرة.

ولم تكن الآنسة "بينجلي" راضية تمامًا عن هذا الردبالقدر الذي يجعلها تتابع هذا الموضوع.

وانضمت "إليزابيث" إليهما مرة أخرى، فقط لتخبرهماأن أختها كانت أسوأ؛ وأنها لا تستطيع تركها؛ فحث السيد "بينجلي" السيد جونز على أن يتحركعلى الفور، في حين أن أخواتهكنّ على قناعة بأنه لا يمكن تقديم نصيحة مفيدة من الريف إلى المدينة؛ إلى واحد من أهم الأطباء، كما أنهلم تسمعا به، لكنهما لم تكُنا راغبات في الامتثال لاقتراح شقيقهما، وتقرر أن يتم إرسال السيد جونز في الصباح الباكرإذا لم تكن الآنسة "بينيت" أفضل حالًا.

وكان السيد "بينجلي" غير مرتاح للغاية؛ وأعلنت أختاه أنهما بائسات، في حين أنه لم يجد أي ارتياح لمشاعره أفضل من إعطاء توجيهات لمدبّرة منزلهلتوجيه كل اهتمامها للسيدة المريضة وشقيقتها.

*****

الفصل التاسع

وقضت "إليزابيث" الليلة في غرفة أختها، وفي الصباح كان من دواعي سرورها أن تكون قادرة على إرسال إجابة مقبولة على الاستفسارات التي تلقتها في وقت مبكر جداً من السيد "بينجلي" بواسطة خادمة، وبعد ذلك بقليل من السيدتين الأنيقتين اللتين كانتا تنتظران أختيه.

وقد طلبت "إليزابيث"إرسال مذكرة إلى "لونغ"بورن، ترغب فيها من والدتها زيارة "جاين"، وإبداء رأيها الخاص بحالة أختها؛ وتم إرسال المذكرة على الفور.

ووصلت السيدة "بينيت"إلى نيذرفيلدبصحبة طفلتها الصغيرةبعد تناول طعام الإفطار بقليل.

ووجدت "جاين" في حالة خطر ظاهر مما جعلها بائسة للغاية، ومع ذلك كانت مسرورة لرؤيتها، وشعرت أن مرضها لم يكن ينذر بالخطر، ومن الغريب أنها لم تكن لديها رغبة في شفائها على الفور! حيث أن استعادتها لصحتها سوف تؤدي على الأرجح إلى مغادرتها نيذرفيلد؛ ولذلك لم تستمع إلىاقتراح ابنتيها بالعودة إلى المنزل، ولا اقتراح الصيدلاني الذي وصل في نفس الوقت تقريبًا، وأشار إلى أنه من المستحسن تماماًعدم السفر، وذلك بعد الجلوس لفترة قصيرة مع "جاين "، وبظهور السيدة "بينجلي" ودعوتها، فقد تناولت طعام الإفطار مع بناتها الثلاثة في صالة الإفطار؛ وقابلهن السيد"بينجلي" على أمل أن السيدة "بينيت" لم تجد الآنسة "بينيت" أسوأ مما توقعت.فقالت له:

- في الواقع أن هذا صحيح يا سيدي، إنها مريضة جدًا لدرجة يصعب معها نقلها؛ كما أن السيد جونز يقول أننا يجب ألا نفكر في نقلها.

وقال السيد "بينجلي" مقترحاً:

- يجب علينا إبقائها هنا لفترة أطول قليلاً؛ وعدم التفكير في مغادرتها؛ وأنا متأكد من أن أختي لن تسمحبنقلها؛

فقالت الآنسة "بينجلي":

- يمكنك أن تعتمدي على ذلك يا سيدتي، فسوف تحظى الآنسة"بينيت" بكل اهتمام ممكن أثناء بقائها معنا.

أجابتها السيدة "بينيت"بامتنان:

- إنني متأكدة من ذلك..

ثم أضافت :

- إن لديكم هنا مكان جميل يطل على مشهد رائع يا سيد "بينجلي"، إنني لا أعرف مكاناً في الريف أجمل من نيذرفيلد، يجب ألا تتركها إلى مكان آخر.
- نعم، إنني أعتبر نفسي ملتصقاً تمامًا هنا.

قالت له "إليزابيث" :

- هذا بالضبط ما كان ينبغي أن أفترضه عنك.
- لقد بدأتِ تفهمينني.. أليس كذلك؟
- أوه! نعم.. أنا أفهمك تمامًا..

- إنّني أتمنّى أن أغتنم هذاالإطراء، لكنّني أخشى أن يكون من باب الشفقة.

قالت الأم السيدة "بينيت" :

- هذا ما يحدث؛ ولا يترتب على ذلك أن تكون الشخصية عميقة أومعقدة أكثر أو أقل تقديرًا من شخصيتكيا "ليزا".

وبعد صمت قصير، بدأت السيدة"بينيت" بتكرار شكرها للسيد"بينجلي" على لطفه مع "جاين".

*****

الفصل العاشر

مضى اليوم إلى حد بعيد كما مر يوم أمس، فقد قضت السيدة"هورست" والآنسة "بينجلي" بضع ساعات من الصباح مع المريضة، التي واصلت التحسن، وإن كان ببطء، وفي المساء، انضمت"إليزابيث" إلى حفلة في قاعة الرسم، وكان السيد "دارسي" يكتب، وكانت الآنسة "بينجلي"، التي كانت جالسة بالقرب منه، تراقب كتابة رسالته وتستدعياهتمامه مراراً وتكراراً بالرسائل الموجهة إلى أخته؛ وكان السيد "هورست" والسيد "بينجلي" يلعبان الورق، بالتحديد لعبةالبيكيت، بينما كانت السيدة "هورست" تراقب لعبهما؛واستغرقت"إليزابيث"في بعض أعمال الإبرة، وكان مسلياًلها بما فيه الكفاية مشاهدة ما كان يدور بين"دارسي" ورفيقه، والثناء الدائم للسيدة، سواء على خط يده أوعلى توازن خطوطه، أوعلى طول رسالته، والحوار الفضولي بإبداء رأيها في كل شيء.

- كم ستكون الآنسة "دارسي" مسرورة لتلقّي مثل هذه الرسالة!

ولم يجب، فواصلت حديثها معه قائلة:

- إنك تكتب بسرعة غير عادية.
- أنتِ مخطئة، فأنا على العكس أكتب ببطء إلى حد ما.
- كم عدد الرسائل التي يجب أن تتاح لك الفرصة للكتابة فيها خلال عام! ورسائل الأعمال أيضا!كم هو بغيض أن أفكر في ذلك!
- لحسن الحظ أن ذلك يكون على عاتقي أنا وليس على عاتقك!

- أخبر أختك أنني أتوق لرؤيتها.
- لقد أخبرتها بذلك بالفعل، حسب رغبتك.
- أخشى أن يكونبقلمك عطب ما، اسمح لي أن أصلحه لك، فأنا أصلح الأقلام بشكل جيد.
- أشكركِ، فأنا أقوم بإصلاح أقلاميدائماً.
- أخبر أختك أنني مسرورة لمعرفة مدى تحسنها في العزف على القيثارة، وأعتقد أنها أفضل من الآنسةجرانتلي.
- هل تسمحي لي بتأجيل رغباتك حتى أنتهي من الكتابة؟
- لكن هل تكتبلها دائمًا مثل هذه الرسائل الطويلة الساحرة يا سيد "دارسي"؟
- إنها بصفة عامة رسائل طويلة، ولكن وصفها بأنها رسائل ساحرة، فليس لي أن أقرر ذلك.
- بل إنه تصورعندي، أن الشخص الذي يمكنه كتابة رسالة طويلة بكل سهولة، لا يمكنه الكتابة بشكل سيء.

فقال لها أخوها:

- هذا لن يكون إطراءً ل"دارسي" يا كارولين، لأنه لا يكتب بسهولة؛ إنه يدرس كثيراًالكلمات قبل أن يكتبها، أليس كذلك يا "دارسي"؟

وقالت الآنسة "بينجلي":

- تشارلز يكتب بمنتهى الاهتمام، وبطريقة بها أقل قدراً من التخيل، إنه يتجاهل نصف كلماته، ويشطب الباقي.

فوضّح تشارلز رأيه ردًاعليها:

- إن أفكاري تتدفق بسرعة كبيرة بحيث لا أملك الوقت الكافي للتعبير عنها، مما يعني أن رسائلي لا تنقل أحيانًا أية أفكار على الإطلاق إلى من أراسله .

وقالت "إليزابيث":

- يجب على السيد "بينجلي" نزع سلاح التواضع.

فابتسم السيد "دارسي" قائلاً:

- نعم، فليس هناك ما هو أكثر خداعًا من مظهر التواضع، وأحيانًا يكون هو مجرد تباهى وتفاخر غير مباشر؛ أو عدم اهتمام بإبداء الرأي.
- وأي منهما تُسمّيهذا التواضع الأخير؟
- التباهي غير المباشر، لأنك فخور حقًا بعيوبك في الكتابةلأنك تعتبرها ناتجة عن سرعة الفكر والإهمال في التنفيذ، والتيإن لم يكن من الممكن تقديرها، تعتقد أنها مهمة للغاية على الأقل.
- إن القدرة على فعل أي شيء بسرعة؛ غالباً ما يُكافأ من المالك، دون أيّاهتمامبضعف الأداء.
- عندما أخبرت السيدة "بينيت" هذا الصباح أنك إذا قررت أن تغادر نيذرفيلدفي أيّ وقت، فسوف تذهب في غضون خمس دقائق، فهذا يعني

أن يكون نوعًا من المديح والإطراء على نفسك؛ ومع ذلك، ماذا هناك يستحق الثناء في هذا التعجيلأو الاندفاع، والذي يستلزم أن تترك الكثير من العمل الضروري للغاية بدون إنهائه، ولا يمكن أن يكون ذلك الاستعجال ذات فائدة حقيقية لنفسك أو لأي شخص آخر؟

قال بنجيلي:

- كلا، هذا كثير جدًا أن تتذكر في الليل كل الأشياء الغبية التي قيلت في الصباح، ومع ذلك، على شرفي، أعتقد أن ما قلته عن نفسي حقيقي كما أؤمن به في هذه اللحظة.
- لذلك، على الأقللم أفترض أنا أن طابع السرعة لا داعِ له فقط لمجرد الظهور أمام السيدات، وأجرؤ على القول أنك فعلاً تؤمنبذلك ولكنني لستُ مقتنعا بأي حال من الأحوال بأنك سوف تختفي بهذه السهولة، وسيكون سلوكك معتمدًا تمامًا على الصدفة مثل سلوك أي رجل أعرفه، وإذا كان هناك صديق قد شاهدك، عندما كنت تمتطي حصانك، كان ليقول لك " يا سيد "بينجلي"، كان من الأفضل لك البقاء حتى الأسبوع المقبل"وربما كنت ستفعل ذلك، وربما لمتكن لتذهب وبكلمة أخرى، قد تبقى شهرًا!

وهنا تدخلت "إليزابيث" قائلة:

- لقد أثبتبذلك فقط أن السيد "بينجلي" لم يحكم جيداً تصرفاته الخاصة، وأظهرته الآن أكثر بكثير مما فعل بنفسه هو نفسه.

وقال لها السيد "بينجلي":

- إنني ممتن للغايةبتحويل ما يقوله صديقي إلى مجاملة على رقة أعصابي، لكنني أخشى أنكِ تعطين الأمر منعطفًا لم ينويه هذا الرجل بأي حال من الأحوال، لأنه من المؤكد أنه سوف يفكر أفضل مني إذا كنت في ظل مثل هذه الظروف، كان علي أن أرفض رفضاً تامًا وأركب بأسرع ما يمكن.
- هل كان السيد "دارسي"سوف يدرس حينهاتهور نواياك الأصلية كما تم التكفير عن عنادك في التمسك بها؟
- بناءً على كلامي، لا يمكنني شرح الأمر بالضبط؛ يجب أن يتحدث "دارسي" عن نفسه.

وللخروج من هذه المناقشاتالثقلت الآنسة "بينجلي"وعلى ملامحها بعض السعادة إلى البيانو.

كان السيد "دارسي" يبتسم، ولكن "إليزابيث"اعتقدت أنه كان قد أهين، وأنه يستاء لذلك، ولذلك فقد راقبت ابتسامتها.

كما كانت الآنسة "بينجلي" مستاءة بسبب الإهانة التي تلقاها بسبب هذا الجدال وغنت السيدة "هورست" مع أختها، ولاحظت "إليزابيث"مدى تركيز عيون السيد "دارسي" عليها؛ حتى أنها كانت بالكاد تعرف كيف تفترض أنها يمكن أن تكون موضع إعجاب رجل عظيم جدًا مثله، ورغم ذلك، ربما كان ينظر إليها لأنه لا يحبها، ولا يزال الأمر أكثر غرابة، فكانت تستطيع فقط أن تتخيل في النهاية أنها

لفتت انتباهه، لأنه كان هناك شيء خاطئ، وأكثر قابلية للشجب، وفقًا لأفكاره عن الحق، أكثر من أي شخص آخر. لم يؤلمها الافتراض، حيث كانت تحبه بقدر مصادقته.

وبعد أداء بعض الأغاني الإيطالية، غيّرت الآنسة "بينجلي" السحر إلى الجو ذات الطابع الاسكتلندي المفعم بالحيوية؛ وبعد ذلك بفترة وجيزة، قال السيد"دارسي" وهو يقترب من "إليزابيث":

- ألا تشعرين بميل كبيرآنسة "بينيت" لاغتنام هذه الفرصة ونرقص رقصة الريل؟

إبتسمت الآنسة "إليزابيث".. لكنها لم تقدم أي إجابة.

وهو ما دعاه إلى أن يكرر السؤال، وقد بدت على ملامحه الدهشة من المفاجأة لصمتها! قالت مبتسمة:

- أوه! لقد سمعتك من قبل، لكنني لم أستطع على الفور تحديد ما أقول في الردّ؛ لقد أردت منّي، كما أعرف، أن أقول "نعم" و أنه من دواعي سروركالاستخفاف بذوقي، ولكنني دائمًا ما أسعدني الإطاحة بهذا النوع من المخططات وخداعالأشخاص وازدرائهم المتعمد لهم، ولذلك فقد قرّرت أن أخبرك أنني لا أريد أن أرقص رقصة الريل على الإطلاق؛ والآن هيا احتقرني إذا كنت تجرؤ!

كان حديثها مليء بالمفاجآت، إلا أنه واجهها بالابتسام قائلاً:

- في الواقع أنا لا أجرؤ "إليزابيث".

وبعد أن كانت تتوقع إهانته، بدلاً من ذلك أدهشتهاكياسته، ولكن كان هناك مزيج من الحلاوة والمكر في سلوكها، مما يجعل من الصعب أن يؤخذ عليها إهانة أيّ شخص، كما أن "دارسي" لم يكن أبداً قد افتتنبأيّ امرأة كما افتتن بها.ورأتالآنسة "بينجلي"، أو اشتبهت بما يكفي لإثارة غيرتها، وقلقها الشديد لاستعادة صديقتها العزيزة "جاين "لصحتها، ساعدهالتحقيق رغبتها في التخلص من "إليزابيث".

وكانت غالباً ما تحاول استفزاز "دارسي"بدفعه إلى كره ضيفتها، من خلال الحديث عن زواجها المفترض، والتخطيط لسعادته في مثل هذا التحالف.

وبينما كانا يسيران معًا بين الشجيرات في اليوم التالي، سألته :

- ستقدّم إلى حماتك بعض التلميحات عندما يحدث هذا الحدث المنتظرألا تخبر به أحد؛ أوه! تأكد من وضع صور العم والعمة فيليبس في المعرض في بيمبرلي، ضعهم بجانب صور القاضي العم الكبير، إنهم في نفس المهنة، كما تعلمفقط في خطوط مختلفة، أما بالنسبة لصورة"إليزابيث"، فيجب ألا تأخذها، فما الذي يمكن للرسام أن يفعله بتلك العيون الجميلة؟لن يكون من السهل، حقًا، تجسيد تعبيرها، ولكن لونها وشكلها ورموشها، قد يتم نسخها.

وفي تلك اللحظة التقيا بمسيرة أخرى تتكون من السيدة "هورست " و"إليزابيث" نفسها، قالت الآنسة "بينجلي":

- لم أكن أعرف أنكِ تنوي المشي.

قالت السيدة "هورست":

- لقد تعاملتِ معنا بشكل سيء، وهربتِ دون أن تخبرينا بأنكِ ستخرجين.

ثم أخذت ذراع السيد "دارسي"، وتركت "إليزابيث" لتمشي مع نفسها، لأن الممر كان يسع ثلاثة فقط، فشعر السيد "دارسي" بفظاظتهن، وقال على الفور:

- هذا الممشى ليس واسعاً بما يكفي لمجموعتنا؛ وكان من الأفضل أن نسير في طريق آخر.

لكن "إليزابيث"، التي لم تكن لديها أقل ميلاً في البقاء معهم، أجابت ضاحكة:

- لا، لا؛ ابقَ حيث أنت، فأنت بين مجموعة ساحرة، ويبدو أنها ميزة غير عادية، لأن هذا المنظر الخلاب سوف يفسدبوجود رابع معكم، وداعًا.

ثم هربت مرحة وهي تتجول بغير هدف على أمل أن تكون في المنزل مرة أخرى في خلال يوم أو يومين.

كانت "جاين" قد تعافت بالفعل إلى درجة أنها تنوي مغادرة غرفتها لبضع ساعات في ذلك المساء.

*****

الفصل الحادي عشر

عندما تحركت السيدات بعد العشاء، ركضت"إليزابيث" إلى أختها، ورأتها وهي حذرة جيدًا من البرد، فاصطحبتها إلى غرفة الرسم، حيث استقبلتها اثنتان من صديقاتها بالسرور والبهجة، ولكن عندما دخل السادة، تحولت عيون الآنسة "بينجلي" على الفور نحو "دارسي"، وكان لديها ما تقوله له قبل أن يتقدم بخطوات كثيرة، إلا أنهتوجه مباشرة إلى الآنسة "بينيت"، بتهنئة مهذبة، كماقدّم لها السيد "هورست"انحناءة خفيفة، قائلاً أنه كان "سعيدًا جدًا"، وكان هناك ترحيباًدافئاً من "بينجلي"، الذي كان مليئاً بالبهجة والانتباهوانقضت نصف الساعة الأول في تكديس النيران، خشية أن تعاني من تغيير الغرفة، كما انتقلت بناء على رغبته إلى الجانب الآخر من الموقد، لكي تكون بعيدة من الباب، ثم جلس بالقرب منها، ولم يتحدث إلا نادراً مع أيّ شخص آخر، وكانت "إليزابيث "في الجانب الآخر ترى كل شيء بسرور كبير.

وعندما انتهى وقت تناول الشاي، ذكّر السيد "هورست"أخت شقيقته بطاولة لعب الورق، ولكن دون جدوى، لأنها كانت تعلم أن السيد "دارسي"لا يرغب في اللعب، وسرعان ما علم السيد "هيرست" أن طلبه للعب الورق مرفوض، وأكدت له أنه لا أحد يعتزم اللعب، وقد أكد كلامها صمت الجميع، ولذلك لم يكن لدى السيد "هورست" ما يفعله سوى أن يمدّد نفسه على أحد الأرائك والنوم.

أما "دارسي" فقد تناول كتاباً، وفعلت الآنسة "بينجلي" الشيء نفسه، وانضمت السيدة "هيرست"، التي كانت مشغولة أساسًا باللعب مع أساورها وخواتمها، كانت تنضم بين الحين والآخر إلى محادثة شقيقها مع الآنسة "بينيت"، وكان اهتمام الآنسة "بينجلي" يتركزعلى مشاهدة السيد "دارسي" يقرأ في كتابه، كما كانت مشغولة في قراءة كتابها، وكانت دائمًا تقوم ببعض الاستفسارات أو تبحث في صفحاته، ولم تستطع الفوز به في أيّ محادثة، لأنه كان يكتفي فقط بالإجابة على أسئلتها.

وتثاءبت تثاؤبًا كبيراًوقالت:

- كم هو ممتع قضاء أمسية بهذه الطريقة ! وبعد كل شيء لا يوجد ما هو أكثر متعةمن القراءة! عندما يكون لديّ منزل خاص بي، سأكون بائسة إذا لم يكن لديّ مكتبة ممتازة.

ثم تثاءبت مرة أخرى، وعندما لم يعلق أحدهم على كلامها ألقت كتابها جانباًوراحت تجوب بعينيها أرجاء الغرفة بحثاً عن بعض التسلية، و سمعت شقيقها وهو يذكر حفلة للآنسة "بينيت"، فالتفتت نحوه فجأة وقالت:

- تشارلز، هل أنت جاد حقًا بشأن الحفل الراقص في نيذرفيلد؟ أود أن أنصحك قبل أن تقرر ذلك، أن تتشاور مع رغبات الطرف الموجود الآن، أكون مخطئة جدًا إذا لم يكن هناك من بيننا من يعتبر الحفلة عقوبة أكثر منها متعة.

فقال لها شقيقها:

- إذا كنتِ تقصدين "دارسي" فيمكنه أن يذهب إلى الفراش للنوم إذا اختار، لكن بالنسبة للحفلةفإنها شيء منتهي تمامًا، وبمجرد قيام نيكولاس بصنع الحساء الأبيض بما فيه الكفايةسوف أرسل بطاقاتالدعوة بخصوصها.

وأجابته قائلة:

- إنني أحب الحفلاتبلا حدود إذا ما تم تنفيذها بطريقة مختلفة، ولكن هناك شيء شاق للغاية في العملية المعتادة لمثل هذا الاجتماع، من المؤكد أن الأمر سيكون أكثر عقلانية بكثير إذا تم إجراء محادثة بدلاً من الرقص.
- أكثر عقلانية!يا عزيزتي كارولين، أجرؤ على القولأن المحادثاتلن تكون مثل الحفلة.

والتزمت الآنسة "بينجلي" الصمت ولم تجب، وبعد ذلك بوقت قصير وقفتوراحت تجوب الغرفة، كان شكلها أنيقًا، وخطواتها جميلة، لكن "دارسي" الذي كان هو الهدف من كل ذلك كان مشغولاً عنها.

وفي يأس من مشاعرهااتجهت إلى "إليزابيث" وقالت لها:

- آنسة إ"ليزا" "بينيت"، اسمحي لي أن أقنعكِ أن تحذو حذوي، وتجولي بالغرفة، وأؤكد لكِ أنها منعشة للغاية، بعد الجلوس لفترة طويلة في مكان واحد.

وعلى الرغم من أنها فوجئت فقد وافقت "إليزابيث" على الفور، وبهذا نجحت الآنسة بينغلي في تحقيق هدفها الحقيقي، فقد نظر السيد "دارسي"، لقد كان مستيقظًا، وأغلق كتابه دون وعي، وقد تمت دعوته مباشرةً للانضمام إليهم لكنه رفض ذلك.

لم تكن الآنسة "بينجلي" قادرة على أن تخيّب أمل السيد "دارسي" في أيّ شيء، وطلبت منه شرح دوافع وأسباب رفضه الانضمام لها؛ فقال:

- ليس لديّ أدنى اعتراض على شرح دوافعي للرفض.

قالت كارولين:

- أموت وأعرف هذه الدوافع!
- إن دوافعي تختلف عن دوافعكما للسير في الغرفة وتتعارض معها.

وسألت الآنسة "بينجلي" الآنسة "بينيت" إذا كانت تعرف دوافعه للرفض، فكانت

إجابتها أنها لا تعرف بالمرة ماذا يعني، فقال إنه ليس لديه مانع من شرح دوافعه، حيث أن له اثنين من الدوافع، وأضاف:

- إما أنكِ تختارين هذه الطريقة لتمضية الأمسية بالسير في الغرفة لأنكِلا تثقين في البعض، وأن لكِشئونك السرية المطلوب مناقشتها، أو لأنكِ تدركين أن شكلك وشخصيتك تظهر في أوضح وأفضل مزاياها بالسير في الغرفة، فإذا كان دافعك الأول هو السبب، فأنا معك تماماً؛ أما إذا

كان الثاني هو السبب، فإن هذا يمكنه أن يثير إعجابي أكثر من جلوسي بجوار المدفئة.

فقالت الآنسة "بينجلي":

- أوه! يا للصدمة! إنّني لم أسمعأبداًأيّ شيء أكثر بغضاً من ذلك!كيف يمكننا أن نعاقبه على مثل هذا الكلام؟

وقالت "إليزابيث":

- ليس هناك شيئاً بهذه السهولة! إذا كان لديكِ الرغبة في ذلك؛ فنحن في كارثة، لكي يعاقب بعضنا بعضاً.
- نزعجه، نضحك عليه.
- ألمحي إليه، ولكن يجب عليك أن تعرفي كيف تفعلين ذلك.
- أنا لا أفعل ذلك، أؤكد لك أن العلاقة الحميمية التي تربطني به لم تعلّمني ذلك.
- الإزعاج سلوك هاديء ووجود للعقل! لا، لا، أشعر أنه قد يتحدانا أما بالنسبة للضحك عليهفلن نفضح أنفسنا.
- من فضلك، بالنسبة للضحك عليه بدون سبب، فإن السيد "دارسي" قد يضحك حتى يهتز من الضحك.

قالت "إليزابيث" :

- السيد "دارسي" لا يمكن الضحك عليه.

قال السيد "دارسي":

- هذه ليست ميزة عادية، وليس من العادي أن آمل في استمرارها لأن ذلك سوف يكون خسارة كبيرة أن يكون لي مثل هذه المعارف؛ وأنا أحب الضحك جداً يا آنسة "بينجلي"، فقد حقق لي مزايا كبيرة؛ إن أكثر الناس حكمة، وأفضل الرجال أعمالاً، قد يقدَّموا على أنهم سخفاء، من قِبل أشخاص يعتبرون أهم شيء في حياتهم هي المزحة!

قالت "إليزابيث":

- بالتأكيد، يوجد الكثير مثلهؤلاء الناس، ولكنّني آمل ألا أكون واحدة منهم، إنّني لم أسخر قط من الحكماء والناس الخيرين؛ الحماقات؛ الترهات؛ النزوات؛ والتناقضات تسلّيني، أنا أعترف بذلك وأيضاً أضحك عليهم متى أستطيع ذلك، ولكن كل هذا، وهو ما أفترضه، لا ينطبقون عليك، وليس بك شيئاً منهم، وربما ليسوا موجود ين بأيّ شخص، ولكن هذا كان موضوع دراستي طوال حياتي، أن أتجنب نقاط الضعف هذه التي تفضح الفهم القوي للسخرية، مثل الغرور والكبرياء، نعم، الغرور هو نقطة ضعف ولكن الكبرياء، عندما يكون هناك تفوق حقيقي للعقل، يكون الكبرياء دائماً تحت سيطرت ضوابط جيدة.

وهنا أدارت "إليزابيث" وجهها لكي تخفي ابتسامة، فقالت الآنسة "بينجلي":

- لقد انتهي اختبارك للسيد "دارسي"، أفترض ذلك، وأرجو معرفة النتيجة، إنّني مقتنعة تماماً أن السيد "دارسي" ليس به عيوب، ولا عليه مآخذ، وهو يعترف بذلك بدون إخفاء.

فقال السيد "دارسي":

- لا، أنا لم أدّعِ ذلك، إن لي ما يكفي من الأخطاء، ولكنها، وهو ما أتمناه، يمكن تفهمها، انفعالاتي، لا أجرؤ أن أضمنها، إنها على ما أعتقدقليلة جداً، الإذعان والخضوع، بالتأكيد قليلة جداً، بالملاءمة مع العالم، ولا أستطيع أن أنسى الحماقات، كما أن مشاعري لا تنتفخ مع كل محاولة لإثارتها، وتحريكها، أما انفعالاتي فربما تستدعى غضباً، بامتعاض، إذا أنا فقدت وجهة نظري الطيبة مرة، فسوف أفقدها للأبد.

قالت "إليزابيث":

- ولكن هذا إخفاق وضعف في الحقيقة، تصلّب وضجر، ظلال في الشخصية، ولكنك اخترت أخطاءك جيداً، ولا يمكنني أن أسخر منها أو أضحك عليها، فأنت في مأمن منّي، يوجدحسب ما أعتقد، في كل تصرّف انجذاب أو جنوح إلى الشر بقدر ما، والعيب الطبيعي، هو الذي لا تستطيع أفضل طرق التعليم أن تهزمه، أو تقضي عليه، وعيبك هو أنك تكره الجميع!

فأجابها السيد "دارسي" بهدوء وابتسامة:

- وعيبك هو أنكِ عن عمد وعناد، لا تفهمين الجميع!

وقالت الآنسة "بينجلي"، ربما لكي تنهي هذا الحوار الذي طال:

- دعونا نستمع إلى بعض الموسيقى، لويزا، أرجو ألا تمانعي في إيقاظ السيد هوريست.

ولم تكن أختها لديها أقل اعتراض، وتم إعداد البيانو، وأما عن السيد "دارسي"، فبعد عدة دقائق من الذكريات التي لم يندم عليها، بدأ يشعر أن منح "إليزابيث" قدراً كبيراً من الاهتمام، هو شيء خطير!

*****

الفصل الثاني عشر

نتيجة للاتفاق بين الأختين، كتبت "إليزابيث" في صباح اليوم التالي إلى والدتهما، تطلب منها إرسال العربة لهما خلال هذا اليوم؛ لكن السيدة"بينيت"ردت عليهما بأنها لن ترسل العربة قبل يوم الثلاثاء، وأنه عليهما البقاء في نيذرفيلد حتى الثلاثاء القادملكي تكون "جاين" قد أكملت أسبوعاً كاملاً هناكولم يكن ذلك الرد مناسباً أو مرضياً خاصة بالنسبة للآنسة "إليزابيث"، التي كانت تتوق إلى العودة إلى منزلها بفارغ الصبر؛ وكان رأي الأم أنه إذا استطاع السيد"بينجلي" أن يضغط عليهما للبقاء في نيذرفيلد فسوف تطمئن عليهما، إلا أن"إليزابيث" أقنعت أختها "جاين" أن تستعير عربة السيد "بينجلي" لتأخذهما إلى البيت.

كان السيد "بينجلي" آسفاً على رغبتهما في المغادرة، وأنهما تفكران في ترك نيذرفيلد، وحاول مرات عديدة في أن يحثهما على البقاء لفترة أطول، حتى تكون "جاين" قد شفيت تماماً، وتكون صحتها جيدة بما يكفي للقيام بالرحلة، لكن "جاين" كانت حازمة، خاصة وأنها علمت أنها على ما يرام، ولم يكن السيد "دارسي" آسفاً على مغادرتهن، فقد ظلت "إليزابيث"في نيذرفيلد فترة طويلة بما يكفي لأن تجذبه إليها، فقد أعجب بها أكثر مما يرغب فيه، وكانت الآنسة "بينجلي" فظّة معها، وضايقتها أكثر مما يجب، مما جعله يعتزم بحكمة أن يهتم بصفة خاصة بعدم إظهار علامة أو دليل على إعجابه بها، ولهذا فقد كان يتحدث معها نادراً خلال يوم السبت، حتى عندما كان يجمعهما مكان واحد لمدة نصف ساعة كاملة، قضاها مستغرقاً في مطالعة كتابه، ولم يكن حتى ينظر إليها، وفي يوم

الأحد، ازدادت ملاطفة الآنسة "بينجلي" لها أكثر من المعتاد، وكذلك عاطفتها نحو "جاين"، وكان عناقها لهما رقيقاً جداً، حتى مصافحتهما بالأيدي كانت حميمة، وبعد الكنيسة، ركبتا

عربة السيد "بينجلي" متجهتين إلى البيت.

كانت "إليزابيث" سعيدة تماماً لأنها ستغادر نيذرفيلد.

وكان وصول الأختين عائدتين إلى "لونغ"بورن في صباح يوم الأحد مفاجأة للعائلة، خاصة الأم التي لم تكن سعيدة بسبب فشل خطتها التي دبرتها لإبقاء "جاين" في نيذرفيلد مع السيد "بينجلي" لأطول فترة ممكنة، وهو ما جعل لقائها بهما فاتراً، ولم ترحب بهما ترحيباً قلبياً على الإطلاق، وأخبرتهما أنها تتوقع إصابة "جاين" بالبرد مرة أخرى، إلا أن الوالد كان على العكس من ذلك، ورغم أنه اعتاد أن يكون مقتضباً في التعبير عنانفعالاته وفي التعبير عن سروره، بدا حقاً سعيداً برؤيتهما، فقد شعر بأهمية وجودهما في دائرة العائلة، ففي أثناء محادثات المساء؛ عندما كانوا يجتمعون جميعاً، بدون الأختين، كان الاجتماع ينقصه الحيوية، ويفقد معناه، بغيابهما؛ وقد وجدا "ماري" كالعادة، غارقة في دراسة الطبيعة البشرية.

أما "كاثرين" و"ليديا" فقد كان لديهما معلومات من نوع آخر.

لقد قيل الكثير، عن الأفواج من الضباط، منذ يوم الأربعاء الماضي، وخاصة الضباط الذين كانوا يتناولون العشاء مع العم مؤخراً، والحديث عن الجندي الذي تم جلده بالسوطعندما قام بالتلميح عن زواج العقيد فورستر.

الفصل الثالث عشر

عند تناول طعام الإفطار، في صباح اليوم التالي؛ قل السيد "بينيت" لزوجته:

- آمل يا عزيزتي، أن تكوني قد طلبتِ غداءً جيدًا اليوم، لأننا سوفنستقبل زائراً.
- من تقصد يا عزيزي؟، أنا متأكدة من أنه لا أحد سوف يأتي لزيارتنا؛ ما لم يكن شارلوت "لوكاس" قد اتصل؛ وآمل أن تكون طلبات الغداء جيدة بما يكفي.
- إن الشخص الذي أتحدث عنه هو رجل نبيل وغريب.

تألقت عيون السيدة "بينيت"؛ وقالت في نفسها:

"رجل نبيل وغريب! إنه السيد "بينجلي"، أنا متأكدة! حسنًا، أنا متأكدة من أنني سأكون سعيدة جدًا برؤية السيد "بينجلي"؛ لكن يا رب! يا لسوء الحظ! ليس هناك حتى القليل من الأسماك التي يجب إحضارها اليوم"

ثم نادت "ليديا":

- "ليديا"! حبيبتي، رني الجرس، يجب أن أتحدث مع هيل في هذه اللحظة؛ إنه السيد "بينجلي"؛ أليس كذلك يا زوجي العزيز؟

قال زوجها:

- إنه ليس السيد "بينجلي"؛ إنه شخص لم أره أبدًا طوال مجرى حياتي.

وأثار هذا دهشة عامة؛ وكان من دواعي سروره أن يتم استجوابه بلهفة وحماس من قِبل زوجته وبناته الخمس في آن واحد؛ وبعد تسليةنفسه لبعض الوقت بفضولهم، أوضح لهم الأمر قائلاً:

- منذ حوالي شهر تلقيت رسالة، وقبل حوالي أسبوعين أجبت عليها، لأنني اعتقدت أنها حالة تتطلب الاهتمام المبكر؛ إنها من ابن عمي، السيد كولينز، الذي، عندما أموت، قد يُخرجكم جميعًا خارج هذا المنزل إذا رغب في ذلك؛ فهو، كما تعلمين ياعزيزتي؛ الشخص الذي سوف يمتلك هذا المنزل، وكل أموال العائلة.

صاحت السيدة "بينيت":

- أوه! عزيزي، لا أستطيعأن أتحمّل سماع ما ذكرت؛ أرجوك لا تتحدث أمامي عن هذا الرجل البغيض؛أعتقد أن هذا هو أصعب شيء في العالم، والأكثر رهبة أن بناتنا المسكينات سوف يُتركنَ بلا شيء في العالم، بسبب ذلك الرجل البشع؛ كما أن ملكية العقارات الخاصة بك يجب أن يرثها أطفالك، وأنا متأكدة من أنني لو كنتُمكانك، لكان عليّ أن أحاول منذ زمن طويل أن أفعل شيئًا ما أو شيء آخر حيال ذلك.

وحاولت "جاين" و"إليزابيث" أن توضّحا لها طبيعة الوقف، ولقد حاولتا في كثير من الأحيان أن يفعلا ذلك من قبل، لكنه كان موضوعًا بالنسبةللسيدة "بينيت" بعيداً عن متناول العقل، وواصلت التذمر بمرارة ضد قسوة تسوية

إرث عقار بعيدًا عن عائلة مكونة من خمس بنات، لصالح رجل لم يهتم به أحد.

قال السيد "بينيت":

- إنها بالتأكيد قضية أكثر غرابة، ولا شيء يمكن أن يخلّص السيد كولينز من ذنب توريث "لونغ "بورن؛ ولكنها ليست خطأ السيد كولينز؛ ومع ذلك إذا كنتِ سوف تستمعين إلى رسالتِه، فربما تكوني مرتاحة بعض الشيء، بسبب طريقة تعبيره عن نفسه؛ حيث يبدو مهتماً بسعادة بناتنا المستقبلية.
- بالطبع لا، فأنا متأكدة من أنني لن أفعل، وأعتقد أنه من غير الضروري أبداً أن يكتب إليك على الإطلاق، وهو كاذب جداً ومنافق؛ أنا أكره هؤلاء الأصدقاء الزائفين؛ ولماذا لم يستطع التشاجر

معك، كما فعل والده من قبله؟

بدأ السيد "بينيت" يقرأ رسالة..

وكانت طويلة ومحترمة جداً، جاء بها:

"هانزفورد؛ بالقرب من ويسترهام؛ كنت..

15 أكتوبر.

سيدي العزيز، كان الخلاف القائم بينك وبين المرحوم والدي، يصيبني دائمًا بالكثير من عدم الارتياح، ولكن بما أنني شعرت بالمأساة بعد أن فقدته فقد كنتُ كثيرًا ما أتمنى أن أعالجالفجوة، ولكن لبعض الوقت، ظلّت لديّ شكوكيالخاصة، خشية أن يبدو الأمر عدماحترام لذكراه، من جهتي؛ لأن أكون على صداقة جيدة

مع أيّ شخص كان يسعده دائمًا أن يكون في حالة خلاف معه، هناك، يا سيدة "بينيت"، وعلى أيّ حال؛ فإن رأيي الآن حول هذا الموضوع وهمي، حيث أنّني تلقيت ترتيبات في عيد الفصح، لقد كنتُ محظوظًا لدرجة أنني تميّزت برعاية فخامة راعية الحقوق السيدة كاترين دي بورج، أرملة السير لويس دي بورج، الذي فضّلني بهباته وإحسانهإلى منزل كاهن الأبرشية، حيث سيكون جهدي قاصراً عليازدراء نفسي تجاه فخامتها، وأكون على استعداد دائم لأداء تلك الطقوس والمناسك، والمراسم التي أقامتها كنيسة إنجلترا، كرجل دين، علاوة على ذلك، أشعر أنه من واجبي تعزيز وإقرار نعمة السلام في جميع الأسر التي في متناولي؛ بناءً على هذه الأسس، فإنني أشعر بالاطمئنان لأن مبادراتي الحالية جديرة بالثناء للغاية، وأن ظرف وجودي التالي في منطقة "لونغ"بورن العقارية سوف يتم تجاهله بلطف لصالحك، ولن يدفعك إلى رفض غصن الزيتون المعروض؛ لا يمكنني أن أكون مهتمًا بكوني وسيلة لإيذاء بناتك اللطفاء، وأرجو الإذن للاعتذار عن ذلك، وكذلك لأؤكد لكم استعدادي لعمل كل ما هو ممكن، لكن فيما يرد هنا، إذا لم يكن لديك أيّاعتراض على استقبالي في منزلك، أقترح على نفسي الرضا عن انتظارك أنت وعائلتك، الاثنين 18 نوفمبر، بحلول الساعة الرابعة صباحًا، وربما تجاوزت حسن ضيافتك حتى بعد ليلة السبت، والتي يمكنني القيام بها دون أيّ إزعاج، حيث أن السيدة "كاثرين" بعيدة كل البعد عن الاعتراض على غيابي من حين لآخر يوم الأحد، شريطة أن يكون بعض رجال الدين الآخرين ملتزمون بواجب هذا اليوم؛ السيد "بينيت"، مع تحياتنا

المحترمة للسيدة زوجتك وبناتك، صديقك الحميم ويليام كولينز، عند الساعة الرابعة".

قال السيد "بينيت" وهو يطوي الرسالة :

- قد نتوقع هذا الرجل الذي يصنع السلام، يبدو أنه شاب لديه ضمير ومهذّب، ولا أشك في أنه سوف يُثبت أنه أحد المعارف القيّمة، خاصة إذا كانت السيدة"كاثرين" متسامحة لدرجة تجعله يأتي إلينا مرة أخرى.

وقالت "جاين":

- هناك منطق في ما يقوله عن الفتيات، ومع ذلك، فإذا كان مستعدًا لتعديله، فلن أكون الشخص الذي يمنعه من ذلك؛ على الرغم من صعوبة ذلك.

وقالت "إليزابيث":

- يجب أن يكون غريباً، كما أعتقد؛ ويوجد شيء مُبالغ فيه في أسلوبه.
- وماذا يمكن أن يعني بالاعتذار عن كونه في المرحلة التالية للوقف؟لا يمكننا أن نفترض أنه سيساعدنا إذا استطاع؛ هل يمكن أن يكون رجلاً مادّيا يا سيدي؟
- لايا عزيزتي، لا أعتقد ذلك؛ لديّ آمال كبيرة في أن أجده عكس ذلك تماما؛ هناك مزيج من العبودية والاعتداد بالنفس والزهو في رسالته، وهو ما يعد بالخير؛ إنّني أريد رؤيته بنفاذ صبر.

قالت "ماري":

- في صميم تكوينها، لا تبدو الرسالة معيبة؛ ربما لا تكون فكرة غصن الزيتون جديدة تمامًا، لكنني أعتقد أنه تم التعبير عنها بشكل جيد.

بالنسبة ل "كاثرين" و "ليديا"، لم تكن الرسالة ولا كاتبها مثيرين إلى أيّ درجة؛ فقد انشغلت أفكارهما بضباط الجيش من الشباب في مريتون.

أما بالنسبة لأمهن، فقد أزال خطاب السيد كولينز الكثير من سوء نيتها، وجعلها تشعر شعوراً أفضل نحوه، وكانت تستعد لرؤيته بدرجة من الوقاروالترحيب مما أدهش زوجها وبناتها.

كان السيد كولينز قد وصل في الموعد المحدد بالضبط، واستقبله جميع أفراد الأسرة بكياسة وأدب بالغ.

في الواقع أن السيد "بينيت" تحدّث قليلاً، لكن السيدات كنّ على استعداد للتحدث.

ويبدو أن السيد كولينز لم يكن بحاجة إلى التشجيع، ولا يميل إلى الصمت في نفسه.

لقد كان شابًا طويل القامة، يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا؛ جادّ الملامح، وكانت آدابه رسمية جدًا؛ حذر السلوك وبطيء، لم يجلس طويلاً قبل أن يمتدح السيدة "بينيت" على امتلاكها عائلة من البنات، قال إنه سمع الكثير عن جمالهن، لكن في هذه الحالة، كانت الشهرة أقل من الحقيقة، وأضاف أنه لم يشُكّ في أن يراهم جميعًا في الوقت المناسب، وهو ما جعلهم يعتقدون أنه جاء للبحث عن فرصة مناسبة للزواج.

لكن السيدة "بينيت"كان من السهل عليها أن تردّ عليه قائلة:

- أنت شاب لطيف للغاية، وأنا متأكدة، بل أتمنى من كل قلبي أن يثبت ذلك.

قال السيد كولينز:

- لقد تم تسوية الأمور بطريقة غريبة!

فأجابه السيد "بينيت" بسؤال استيضاحي:

- أنت تُلمّح، ربما، إلى ما يترتب على وقف هذا العقار.
- آه! نعم يا سيدي، أنا فعلا أقصد ذلك، إنها قضية كارثية لفتياتي الصغار.

قالت السيدة "بينيت":

- يجب أن تعترف، لا يعني هذا أن نبحث عنمآخذعليك، لأن مثل هذه الأشياء التي نعرفها كلها تعتبرفرص في هذا العالم؛ ولا يوجد أيّ معرفة عن إلى من ستذهب العقارات عندما تتحول إلى أوقاف.
- أنا عقلاني للغاية، سيدتي، ومُدرك للمصاعب التي يواجهها أبناء عمّي، ويمكنني أن أقول الكثير عن هذا الموضوع، لكنني حريص على عدم الظهور بمظهر الطائش المتهور؛ لكن يمكنني أن أؤكّد للسيدات الشابات أنني إنما جئتُ لكي أبدي إعجابي بهن، وفي الوقت الحاضر لن أقول أكثر من ذلك، لكن، ربما، عندما نكون على دراية ببعض أفضل..

وعندما وصل إلى هذا القدر من حديثه، قاطعه صوت يستدعيهم جميعاًلتناول العشاء...وابتسمت الفتيات لبعضهن البعض.

لم تكن الفتيات هنالوحيداتاللاتي أثرن إعجاب السيد كولينز؛ بل أيضاً القاعة وغرفة الطعام وجميع أثاثها، حيث أبدى إعجابه وأشاد بكل شيء، وكان من شأن إشادته بكل شيء أن يمسّ قلب السيدة "بينيت".

كان العشاء أيضًا في غاية الإعجاب.

وتوسّل أن يعرف إلى أيّ من بنات عمه يرجع إليها فضل الطهي؛ ولكن السيدة "بينيت"أخبرته بأنهن قادرات جيدًا على الطهي الجيد، إلا أن بناتها ليس لديهن علاقةبالمطبخ.

وعندما شعر في كلماتها بالاستياء، اعتذر لها في لهجة ناعمة، قائلاًأنه لم يقصد الإهانة على الإطلاق، فجاء ردّها عليه برقّة بالغة، أنها لم تشعر بالإهانة على الإطلاق.

ولكنه استمر في الاعتذار، ربما لمدة ربع ساعة!.

*****

الفصل الرابع عشر

خلال العشاء، بالكاد تكلم السيد "بينيت"، ولكن عندما أتم الخدم أعمالهم وانسحبوا، اعتقد أنه حان الوقت لإجراء بعض المحادثات مع ضيفه، وبالتالي بدأ موضوعًا يتوقع أن يكون جذّاباً، حول انتباه السيدة "كاثرين " دي بورج لرغباته، والنظر لراحته، فلم يكن للسيد "بينيت"أن يختار موضوعاً أفضل من هذا، وكان السيد كولينز بليغا في مدحها؛ ورفعه الموضوع إلى أكثر من المعتاد من الإجلال وسموّ السلوكيات الخاصة بالسيدة "كاثرين "التي كانت مسرورة عندما أبدت موافقتها على الوعظين اللذين كان له شرف التبشير بهما أمامها، كما طلبت منه مرتين تناول العشاء في روزنجز، ولم ترسله إلا يوم السبت السابق، لتعويض مجموعتها الرباعية في المساء.

كان الكثيرون من الناس الذين يعرفهم، يعتقدون أن السيدة "كاثرين"مغرورة متكبّرة، لكنه لم يرَ أيّ شيء منها سوى عذوبة المعاشرة، لقد كانت تتحدّث إليه دائمًا كما لو كانت تتحدث مع أيّ رجل نبيل آخر، كما لم تقدّم أيّاعتراض على مشاركته في مجتمع الجوار، ولا على مغادرته الأبرشيّة أحيانًا لمدة أسبوع أو أسبوعين لزيارة أقاربه؛ لقد كانت حتى تنصحه بالزواج في أسرع وقت ممكن.

قالت السيدة "بينيت":

- أنا متأكّدة، وأجرؤ على القول إنها امرأة مقبولة للغاية، ومن المؤسف أن السيدات العظيمات بشكل عام لَسْنَ مثلها، هل هي تعيش بالقرب منك يا سيدي؟

- الحديقة التي بها مسكنيالمتواضع لا يفصلهاعن مقر إقامة فخامتها إلا حديقة روزنجز.
- أعتقد أنك قلت إنها أرملة يا سيدي؟، هل لديها أيّ عائلة؟
- لديها ابنة واحدة فقط، هي وريثة روزنجز، وممتلكات واسعة جدًا.

قالت السيدة "بينيت"، وهي تهزّ رأسها:

- آه! هي إذنأفضل حالًا من العديد من الفتيات، فأيّ نوع من السيداتالشابّات هي؟ هل هي جميلة؟
- إنها حقًا من أكثر السيدات الشابّات سحراً، والسيدة "كاثرين"نفسها تقول إن الآنسة دي بورج، في جمالها الحقيقي، تفوق بكثير جنسها، لأن هناك ما يميّزها من ناحية الولادة؛ إنها للأسف بنيتها ضعيفة؛ مما منعها من تحقيق التقدّم في العديد من الإنجازات التي لولا هذه الظروف لما فشلت في تحقيقها، كما أبلغتني السيدة التي أشرفت على تعليمها، والتي ما زالت تقيم معهم، ولكنها لطيفة جداً.
- هل تم تقديمها؟ إنّني لا أتذكر اسمها بين السيدات في المحكمة.
- للأسف، فإن حالتها الصحية غير الجيدة تمنعها من التواجد في المدينة، وبهذه الطريقة، كما أخبرت السيدة كاترين ذات يوم، حرمت المحكمة البريطانية من أذكى الزخارف!وقد تقبّلتهذه الفكرة بسعادة غامرة، ولكِ أن تتخيّلين كم أنا سعيد في كل مناسبة لأقدّم لهن هذه المجاملات الصغيرة الحسّاسة التي تكون مقبولة دائمًا للسيدات؛ ولقد قدّمت أكثر

من مرّة ملاحظات للسيدة "كاثرين"، أن ابنتها الساحرة بدت وكأنها ولدت لكي تكون دوقة، وأن الرتبة الأعلى بدلاً من منحها الأهمية، فإنها تتزين بها، هذه هي الأشياء الصغيرة التي تُرضي فخامتها، وهو نوع من الاهتمام الذي أتصوّر نفسي ملتزمًا بأن أمنحه لها.

قال السيد "بينيت":

- أنت تحكم بشكل صحيح جدًا؛ وإنه من دواعي سعادتك، أن تمتلك موهبة الإطراء مع اللياقة والكياسة، هل لي أن أسأل عما إذا كانت هذه الاهتمامات المبهجة تنطلق من البديهةاللحظية، أم أنها نتيجة الدراسة السابقة؟
- إنها تنشأ أساساً مما يمرّ في ذلك الوقت.

بحلول وقت تناول الشاي، كانت الجرعة كافية، وكان السيد "بينيت " سعيدًا لاصطحاب ضيفه إلى غرفة الرسم مرّة أخرى، وعندما انتهى الجميع من تناول الشاي، كان سعيدًا بدعوته للقراءة بصوت عالٍ للسيدات.

وافق السيد كولينز بسهولة.

*****

الفصل الخامس عشر

لم يكن السيد كولينز رجلاً حسّاساً، كما حزرت "إليزابيث"، بل لم يكن ذكياً على الإطلاق على نحو واضح، مع هذا بدا أنه يقدّر نفسه تقديراً عالياً، وكان النقص في شخصيته لا يعينه إلا من خلال التعليم والانخراط بالمجتمع، وقد أنفق الجزء الأكبر من حياته تحت إشراف الأب الأمّي البخيل، وعلى الرغم من أنه ينتمي إلى إحدى الجامعات، إلا أنه لم يستطع أن يكوّن أيّ معرفة مفيدة له؛ فكان مزيجاً من كبرياء عجيب، وأدب مُبالغ فيه، ومن اعتداد بالنفس، وخجل غير مُبرّر.

إن الخضوع الذي فرضه والده عليه أعطاه تواضعًا كبيرًا في السلوك؛

ولكن بعد أن أصبح له منزلًا جيدًا ودخلًا كافيًا للغاية، وأصبح يشعر بالاحترام بسبب التقدير العالي الذي منحته له السيدة"كاثرين" دي بورج، وسلطته القوية كرجل دين، وحقوقه ككاهن، كل هذا جعل منه مزيجاً من الكبرياء والمزلّة، ومن المُبالغة في تقدير الذات، والوضاعة.

لقد بدأ يفكر في الزواج، خاصة وأن منزله يقع إلى جوار منزل السيدة "كاثرين" دي بورج، في روزنجز بارك، ودخله جيد من الكنيسة، في هانسفورد.

وقرّر السعي لتحقيق المصالحة مع عائلة "لونغ"بورن، لكي يتزوج من إحدى بنات السيد "بينيت"، حيث كان لديه تصوّراً للزوجة التي يرغب في الاقتران بها، فكان يعتزم اختيار واحدة من الفتيات، إذا وجد فيهن الجمالوالوسامة التي تتفق مع ما يُشاع عنهنّ.

وكانت هذه هي خطته لتعديل الأوقاف، على ممتلكات والدهنّ.

وكان يعتقد أنها ممتازة، ومليئة بالأهلية والملاءمة، والسخاء المُفرط ونزيهة من جانبه، بحيث يجعل عائلة السيد "بينيت" يشعرون أن التسوية تسير على نحو أفضل، بالنسبة لخسارة منزل "لونغ"بورن في المستقبل، وكل مال العائلة.

ولم تختلف خطته بعد رؤيتهن.

بل إن وجه الآنسة "بينيت" الجميل أكّد له وجهات نظره، وجميع مفاهيمه الصارمة.

وفي الأمسية الأولى كان اختياره قد استقر على إحدى البنات، وهي "جاين".

في صباح اليوم التالي، قام بتغيير رأيه، خلال ربع ساعة تقريبًا في حديثه مع السيدة "بينيت" قبل الإفطار، وكان حديثاً وجهاً لوجه، بين الاثنين، وهي عبارة عن محادثة تبدأ من منزله، بيت الكاهن، وتؤدي بشكل طبيعي إلى اعترافهبآماله، وأنه يُمكنه العثور على سيدة له في "لونغ"بورن، يتم اختيارها من بين الفتيات، وسط الابتسامات المشجّعة للغاية، تحذيراً من "جاين" نفسهاالتي أبلغته السيدة "بينيت" أن هناك ارتباطاً بشكل ما، وهو ما جعله ينتقل باختياراته إلى فتاة أخرى.

فكان على السيد كولينز أن يتحوّل من "جاين" إلى "إليزابيث".

وقد تم ذلك أثناء قيام السيدة "بينيت"بتحريك النار؛ كانت "إليزابيث "هي التالية بالنسبة لأختها"جاين" في العمر والجمال.

ووثقت السيدة "بينيت" أنها قد يكون لها قريباًابنتان متزوجتان.

والرجل الذي لم تستطع أن تتحمّله لمجرّد التحدّث معه في اليوم السابق، أصبح اليوم مرتفعًا في درجات الحظوة لديها؛ وأصبحت تحبه بشدّة.

لم ينسَأحد نيّة "ليديا" بالذهاب إلى ميريتون، وكل أخواتها وافقن على الذهاب معها إلا "ماري"، وذلك لزيارة خالتهن، السيدة فيليبس، وقد دُعي السيد كولينز للذهاب معهن، بناءً على طلب من السيد "بينيت"، الذي كان أكثر حرصًا على التخلص منه، والذهاب إلى مكتبته بمفرده، وكان السيد كولينز قد تبعهبعد الإفطار، وهناك، كان سيواصل مشاركته شكلياً فيقراءة مجموعة من أكبر مجموعات الأوراق، ولكن في الواقعكان اللقاء للتحدّث مع السيد "بينيت" عن منزله والحديقة في هانزفورد، مما كان يزعج السيد"بينيت" بشدة، لأنه يحرصدائماً في مكتبته أن يكون على يقين من الراحة والهدوء؛ ولذلك فقد دعى السيد كولينز للانضمام إلى بناته في مسيرتهن إلى ميريتون للتخلّص منه، وأما السيد كولينز، في الواقع، فكان يفضّل جداًالمشي عن القراءة، ولذلك كان مسروراً للغاية لإغلاق كتابه الكبير، والذهاب مع الفتيات، وفي الشارع مرّ وقتهم سريعاً حتى دخلوا ميريتون، ولم يكن اهتمام الصغار يتجه إلى السيد كولينز أثناء سيرهن، بل كانت أعينهن تتجول على الفور في الشارع بحثاً عن ضباط الجيش، وقد قابلن بعضاً من الضباط الشباب الذين كانت "ليديا" و"كاثرين" قد تعرفتا عليهم، ومنهم الضابط السيد ديني، بالإضافة إلى ضابط شاب جديد كان قد وصل للتوّ إلى البلدة، هو السيد ويكهام، الذي رأينه كلهن وسيماً جداً وساحراً، وقد تحدّث معهن أثناء سيرهن في الشارع باتجاه منزل السيد فيليبس.

وبينما كانوا يسيرون، لفت انتباههم صوت الخيول، وشوهد السيد "دارسي" والسيد "بينجلي" وهما يركبان حصانين في الشارع، وعند التمييز بين سيدات المجموعة والتعرف عليهن، جاء السيدان نحوهن مباشرة، وقدّما لهن التحية المعتادة باحترام وأدب.

كان السيد "بينجلي" هو المتحدّث الرئيسي، وكانت الآنسة "بينيت" هي العنصر الرئيسي، وقال إنه كان حينها في طريقه إلى "لونغ بورن بغرض الاستفسار عنها، بينما كان السيد "دارسي" يحاول جاهداً عدم تثبيت عينيه على الآنسة "إليزابيث" بتحويل نظراته إلى الاتجاه الآخر، وسقطت عيناه على الضابط الشاب الغريب، السيد ويكهام، وكانت "إليزابيث" تراقبهما كليهما، بينما كانا ينظران إلى بعضهما البعض، وقد أدهشها تأثير هذا اللقاء على كل منهما، فكلاهما تغيّر لونه، وبديا واحد أبيض، والآخر أحمر.

مرّت لحظات قليلة، قبل أن يقوم السيد ويكهام بلمس قبعته في ردّ على تحية قدّمها له السيد "دارسي" بتوّهدون رغبة منه.

تساءلت "إليزابيث" بينها وبين نفسها، ماذا يمكن أن يكون معنى ذلك؟ كان من المستحيل عليها تخيّله؛ وأيضاً كان من المستحيل عليها ألا تحاول أن تعرف!

وانصرف السيد "بينجلي" مع صديقه، ولكن دون أن يبدو أنه لاحظ ما حدث.

مشى السيد ديني والسيد ويكهام مع السيدات الشابّات إلى باب منزل السيد فيليبس، ثم قدّموا انحناءة للتحية.

كانت السيدة فيليبس سعيدة دائمًا برؤية بناتها.

وفي اليوم التالي دُعي السيد كولينز والفتيات الشابّات، لقضاء المساء في بيت الخالة في ميريتون، وكان بعض الضباط قد تم دعوتهم، وسَرّ الفتيات أن يكون السيد ويكهام من بينهم.

عندما دخل السيد ويكهام إلى الغرفة، كان هو أسعد رجل حطّت عليه عيون كل الفتيات، ولكن الآنسة "إليزابيث" كانت هي الفتاة السعيدة التي أخذ مكانه إلى جوارها، وراح يبادلها الأحاديث.

وبدا السيد كولينز يغرق في الضآلة التي كانتتُغلّفه، حيث أنه لم يكن شيئاً يُذكر بالنسبة للسيدات اللاتي كنّ حوله، وكان من وقت إلى آخر يُعتبر مُستمعاً جيداًللسيدة فيليبس، وكان تحت مراقبتها، تمدّه بسخاء بالقهوة؛ والفطير المُغطّى بالزبدة عند تناول الشاي.

وعند إعداد طاولة لعب الورق كان لديه الفرصة لأن يجاملها بدوره بالجلوس إلى الطاولة، لكي يلعب معهم الورق، حيث كانوا يلعبون لعبة" الهويست "وقال:

- إنني أعرف القليل عن هذه اللعبة في الوقت الراهن، ولكنني سوف أكون سعيداً بتحسين مهاراتي، لأنه في وضعي في الحياة...

وقاطعته، فقد كانت السيدة فيليبس سعيدة بهذه المجاملة التي أبداها، ولكنها لم تستطع أن تنتظر ليقدّم لها أسبابه..

ولم يكن السيد ويكهام يلعب " الهويست "وكان سعيداً باستقباله إلى الطاولة المقابلة على الجانب الآخر، حيث جلس بين "إليزابيث" و"ليديا".

في البداية كان هناك خطر من استحواذه على اهتمام "ليديا "كلّيّة، لأنها كانت متحدّثة قوية جداً، ولكنها انشغلت باللوتاري؛ ولذلك كان السيد ويكهام مشغولاً بالحديث مع "إليزابيث".

وكانت هي نفسها راغبة جداً في السماع منه؛ إلا أن ما كانت ترغب في أن يخبرها به كان من الصعب عليها أن تطلبه منه، لأنها كانت ترغب في الوقوف على مدى معرفته بالسيد "دارسي"، وصادف أن بدأ هو بنفسه في اختيار هذا الموضوع للحديث عنه، وسألها:

- كم تبعد نيذرفيلد عن ميريتون؟

ولكن بعد أن أجابته سألها في تردّد :

- لكم من الوقت أقام السيد "دارسي" هناك؟
- لمدة شهر تقريباً.

وفي حديثها معه، تمكّنت "إليزابيث" من حشر اسم السيد "دارسي"، وسألته ما إذا كان يعرفه من قبل معرفة جيدة عن كثب، قال:

- نعم، لقد عرفتُ عائلة السيد "دارسي" طوال حياتي، وأنتِ، هل تعرفينه؟ هل يُمكنني أن أسألك مثل هذا السؤال؟
- لقد أمضيتُ أياماً عديدة في المنزل نفسه الذي أمضى فيه هذه الأيام، وكان ذلك في نيذرفيلد.
- هل لي أن أسألك عن انطباعك عنه؟
- لقد وجدته غير مقبول تماماً، الناس في الحوار لا يحبونه كثيراً، فهو

يبدو سيء المزاجومتكبّر.

ووجدت "إليزابيث" لديها الفضول في أن تعرف رأيه هو نفسه في السيد "دارسي"، فقالت له:

- وهل يُمكنني أن أطرح عليك نفس السؤال؟
- تقصدين انطباعي عن السيد "دارسي"؟
- أجل.
- في الحقيقة أنني لن أستطيع أن أعطي رأيي به الآن، ويُمكنني القول أنّني عرفته معرفة جيدة ولمدة طويلة جداً، لكن لا يُمكنني أن أشعر بالأسف لأن الناس لا يحبونه، وقد كان سلوكه نحوي غير عادل في الماضي، مع أن أباه كان دائماً طيباً جداً معي، وذات مرة أراد أبوه أن يترك لي بعض الأموال حين وفاته، لكن "دارسي" عارض ذلك، وتأكد من ألا يصل المال كله لي، ولم تكن رغبات أبيه قد تم كتابتها، لذلك لا أمل قانوني لي في الحصول عليها.

وتوقف لحظات ثم استطرد:

- لقد كنت رجلاً خائب الأمل، ولم تكن معنوياتي تتحمل العزلة، كان يجب أن يكون لديّ العمل والمجتمع، والحياة العسكرية ليست هي ما كنت أهدف له، لكن الظروف الآن جعلت هذا ملائماً، وجوديبالكنيسة كان مهنة لي، فلقد ترعرعتُ من أجل الكنيسة، وكان عليّ في هذا الوقت

أن أمتلك لقمة العيش الأكثر قيمةً، والتي كانت تسرّ الرجل الذي كنا نتحدث عنه الآن.

نعم، لقد أورثني الراحل السيد "دارسي" أفضل إهداء للعيش بهديته؛ لقد

كان هو أبي الروحي، ولا أستطيع أن أنصف كرمه، كان يقصد أن يوفر لي بإسهاب ووفرة، وأعتقد أنه فعل ذلك، ولكن عندما انتهت حياته، ذهبت هذه العطايا إلى مكان آخر.

- يا إلهي!، لكن كيف يمكن أن يكون ذلك؟ كيف يمكن إهمال إرادته؟ لماذا لم تسعَ للحصول على تعويض قانوني؟
- كان هناك مثل هذه المعلومات غير الرسمية من حيث شروط الإرث بحيث لا تعطيني أيّ أمل من القانون، لم يكن من الممكن أن يشك رجل شريف في نيته؛ لكن السيد "دارسي"اختار الشك في ذلك، وأنتكون وصية مشروطة فقط، وللتأكيد على أنني قد خسرت كل الدعاوي والمطالبات بها عن طريق البذخ والحماقة، باختصار أي شيء أو لا شيء، من المؤكد أن المعيشة قد أصبحت خالية من التعبير منذ عامين.

وعندما كنتُ في سن من العمر يمكنني من التمسك بها، أعطيت لرجل آخر، وما لا يقل تأكيداً عن ذلك هو أنه لا يمكنني اتهام نفسي بارتكاب أي خطأيجعلني أستحق أن أخسرها.لديّ مزاج دافئ وغير حذر، وقد أتحدث برأيي عنه بحرية كبيرة، ولا أستطيعأن أتذكر شيئاً أسوأ من ذلك

عنه؛ ولكن الحقيقة هي أننا نوعان من الرجالمختلفان تمامًا، وأنه يكرهني، إن هذا صادم جدًا! إنه يستحق أن يتم فضحه علنًا، في وقت ما، أو في أي وقت آخر، سوف يحدث ذلك، لكن لن يكون ذلك من قِبَلِي، أو عن طريقي، إلى أنأستطيع أن أنسى والده، لا يمكنني أبدًا تحديه أو كشفه.

وكرّمته "إليزابيث" لمثل هذه المشاعر، واعتقدت أنه وسيم أكثر من أي وقت مضى، قالت بعد برهة:

- لكن ماذا يمكن أن تكون دوافعه؟ ما الذي كان يمكن أن يحفزه على التصرف بمثل هذه القسوة؟
- كراهية شاملة وحازمة تجاهي، كراهية لا يمكنني إلا أن أرجعها إلى حد ما إلى الغيرة، لو كان الراحل السيد "دارسي" أحبني بدرجة أقل، لكان ابنه يتعامل معي بشكل أفضل، لكن ارتباط والده غير العادي بي أغضبه، أعتقد، في وقت مبكر جدًا من الحياةلم يكن لديه مزاج لتحمل هذا النوع من المنافسة التي كانت بيننا، ولا حجم التفضيل الذي منحني إياه في كثير من الأحيان.
- لم أكن أعتقد أن السيد "دارسي" سيء للغاية ولهذه الدرجة، ولم أفكر فيه بمثل هذا السوء، كان عليَّ أن أفترض أنه يحتقر زملائه البشر بشكل عام، ولكنني لم أكن أظن أنه سوف ينحدر إلى هذا الانتقام الخبيث، ويفعل مثل هذا الظلم اللا إنساني إلى هذا الحد.

وتوقفت "إليزابيث" لبضع دقائق من التفكير، ثم واصلت:

- إنّني أتذكر يومًا ما في نيذرفيلد، حيث تفاخر بالحقد والعناد، بسبب مزاجه الذي لا يرحم، إن تصرفاته مروعة.

أجاب ويكهام:

- يجب ألا أثق بنفسي في هذا الشأن، يمكنني أن أكون متجرّد معه بصعوبة.

مرة أخرى، راحت "إليزابيث" في التفكير العميق، وبعد فترة من الوقت هتفت قائلة:

- تعامل مع ابنه في العماد، أو صديق، من الذين كان والده يفضلهم،

وتوقفت قليلاً، ثم أضافت:

- رجل شاب، أيضًا، مثلك، الذي قد يعين ويساعد في ضمان أن تكون محبوب، وشخصًا أيضًا يكون رفيقه منذ الطفولة، مرتبطاً به.
- لقد ولدنا في نفس الأبرشية، داخل نفس الحديقة، لقد قضينا الجزء الأكبر من شبابنا، شركاء في العيش في نفس المنزل، نتشارك في نفس أدوات التسلية، ونتشارك في نفس رعاية الوالدين، بدأ والدي حياته في نفس المهنة التي يبدو أن عمك، السيد فيليبس، يقوم بها، ولكنه تخلّى عن كل شيء، ليكون في خدمة المرحوم الراحل السيد "دارسي"، وكرّس كل وقته لرعاية ممتلكات بيمبرلي، وكان يحظى بتقدير كبير من قِبَل السيد "دارسي"، وهو صديق حميم ومؤتمَن، وكثيراً ما اعترف السيد

"دارسي" بنفسه بأنه يُلقي على عاتق أبي بأكبر الالتزامات تجاه الإشراف والإدارة، وقبل وفاة والدي مباشرة، أعطاه السيد "دارسي" وعدًا طوعيًا لتقديمه لي، وأنا مقتنع أنه شعر أنه يمثل امتنان له، بقدر ما كان عطوفاً وحنونًا معي..

- يا للغرابة! كم هذا فظيع!، يدهشني أن كبرياء هذا السيد "دارسي" لم يجعله عادلاً معك!
- إن جميع أفعاله تقريبًا تقود إلى الكبرياء، وكان الكبرياء في كثير من الأحيان أفضل صديق له، وفي سلوكه بالنسبة لي كانت هناك دوافع أقوى حتى من الكبرياء.
- وهل يمكن أن يكون هذا الفخر البغيض جيد بالنسبة له؟
- نعم، لقد دفعه في كثير من الأحيان إلى أن يكون ليبراليًا وسخيًا، ومنح أمواله بحرية، وإظهار كرم الضيافة، ومساعدة مستأجريه، ويحسن إلى الفقراء، فخر العائلة، وفخر الأبناء، لأنه فخور جدًا بما كان عليه والده، ولديه أيضًا فخراً أخوياً، مما يجعله، مع بعض
المودة الأخوية، وصيًا كريماً وحريصًا على أخته.
- أي أنواع البنات هي الآنسة "دارسي"؟

وهزّ رأسه.. قائلاً:

- أتمنّى أن أُسميها لطيفة، إنها تسبّب لي الألم حين أتحدّث عن السيد "دارسي" بالسوء، ولكنها تشبه إلى حد بعيد شقيقها، متكبرة جدًا جدًا،

عندما كانت طفلة، كانت عاطفية وممتعة، ومغرمة جدًا بي، ولقد كرّستُ ساعات وساعات لتسليتها، ولكنها لا تعني لي شيئاً الآن، إنها فتاة جميلة، تبلغ من العمر حوالي خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، وهي متفوقة، منذ وفاة والدها، أصبح منزلها هو لندن، حيث تعيش سيدة معها، وهي تشرف على تعليمها.

وبعد العديد من الوقفات، والعديد من التطرق إلى مواضيع أخرى، لم تستطع "إليزابيث" إلا أن تعود مرة أخرى إلى نفس الموضوع الأول، قائلة:

- أنادهشةمنعلاقة السيد "دارسي" الحميمة مع السيد "بينجلي"! كيف يمكن للسيد "بينجلي "، الذي يبدو فيه روح الدعابة نفسها، أن يرتبطبصداقة مع مثل هذا الرجل، أعني السيد"دارسي"؟ كيف يمكن أن يتوافقان مع بعضهما البعض؟ هل تعرف السيد "بينجلي"؟
- لا على الإطلاق.
- إنه رجل لطيف ودود وساحر. إنه لا يستطيع أن يعرف ما هو السيد "دارسي" في الواقع.
- ربما لا، لكن السيد "دارسي" يمكنه إرضاء المكان الذي يختاره، إنه لا تنقصه القدرات، والكبرياء لا يهجره أبداً، لكن مع الأثرياء، فهو ذو عقلية ليبرالية، عادلة، مخلصة، عقلانية، محترمة.
- وماذا عن انضمامك إلى الجيش؟
- أنا لم أرغب أبداً في أن أنضم إلى الجيش، بل كان عليّ أن أفعل ذلك

وفي الحقيقة أن وراء انضمامي إلى الجيش قصة حزينة جداً، وأنا لا يُمكنني أن أفكر تفكيراً حسناً حول السيد "دارسي".

استمعت "إليزابيث" إلى قصة السيد "دارسي" مع السيد ويكهام، فامتلأت رعباً، وأذهلها أن يصاحب رجل لطيف وبشوش مثل السيد "بينجلي"، رجلاً متكبراً وقاسياً مثل السيد "دارسي".

وتم تقديم قليلًا من العشاء الساخن بعد ذلك.

كانت الغرفة يملؤها البهجة والسرور والاحتفال، وربما كان هذا الجو هو السبب في أن يقرّر السيد كولينز مغادرة الغرفة.

بينما كانوا يمشون إلى البيت، روت "إليزابيث" لأختها "جاين" ما رأته يحدث بين السادة ويكهام و"دارسي"، ولكن على الرغم من أن "جاين" كانت ستدافع عن أحدهما أو كليهما، لو بدا أنهما مخطئان، إلا أنها لم تكن تستطيع شرح مثل هذا السلوك أكثر من أختها.

أبدى السيد كولينز عند عودته الامتنان الشديد للسيدة "بينيت"، من خلال الإعجاب بأدب السيدة فيليبس وسلوكها الطيب، واعترف أنه – باستثناء السيدة "كاثرين" وابنتها – لم يرَ امرأة أكثر منها أناقة، لأنها لم تستقبله بأقصى قدر من اللطف والكياسة فحسب، بل أدرجته بوضوح في دعوتها للمساء في اليوم التالي، رغم أنه لم يكن معروفاً لها من قبل، ويفترض أن هناك شيئًا ما قد يعزى إلى علاقته بهم، لكنه لم يُقابل أبدًا بهذا القدر من الاهتمام طوال مجرى حياته.

*****

الفصل السادس عشر

قامت العربة بنقلالجميع في التوقيتالمناسبإلى ميريتون وكان من دواعي سرور الفتيات سماعهن، عند دخولهن غرفة الرسم، أن السيد ويكهام كان قد قبِل دعوة عمهن، عندما قُدّمت هذه المعلومات، وأخذوا جميعهم مقاعدهم.

كان السيد كولينز في أوقات الفراغ ينظر إلى من حوله ويُعجب به، وقد أذهله حجم الشقة وأثاثها، لدرجة أنه أعلن أنه ربما كان من المفترض أن يكون في صالة الإفطار الصيفية الصغيرة في روزنجز ، مقارنة لم تنقل في البداية الكثير من الإرضاء، ولكن عندما أدركت السيدة فيليبس منه ما كانت عليه روزنجز، ومن كان مالكها، وعندما استمعت إلى وصف واحدة من غرف الرسم لدى السيدة "كاثرين"، ووجدت أن المداخن وحدها كانت تكلفها ثمانمائة جنيه، أدركت قوة المجاملة والمديح.

وهكذا ظل منشغلاً بسعادة حتى انضم السادة إليهم، ووجد في السيدة فيليبس مستمعًا شديد اليقظة.

وعندما دخل السيد ويكهام إلى الغرفة، شعرت "إليزابيث" أنها لم تره من قبلولم تفكر فيه منذ ذلك الحين، بأدنى درجة من الإعجاب غير المعقول.

لكن السيد ويكهام أخبرها بأن السيد "دارسي" يمكنه أن يكون مقبولاً جداً، وودوداً مع الناس، إذا اختار أن يكون كذلك، وأنه يمكنه أن يكون رقيقاً ورفيقاً مثيراً للاهتمام، بل وسارّاً، خصوصا مع شخص مثل السيدة "كاثرين " دي

بورج، صاحبة عمل السيد كولينز، التي كانت غنية قَدْر غناه، كانت ليدي "كاثرين" عمته.

فكرت "إليزابيث" في نفسها، من المحتمل أن السيد "بينجلي" لا يعرف ببساطة أي نوع من الرجال هو صديقه حقاً، وبدأت تشُكّ بأن ليدي"كاثرين" نفسها قد تكون متكّبرة، وغير مقبولة قدر ابن أخيها، رغم كل الأمور الجيدة، التي استمر السيد كولينز الأبله في قولها عنها باستمرار.

وهكذا مر الوقت دون أن يشعرا به، وأخذتهم الأحاديث إلى أماكن أخرى بعيداً عن الغرفة في منزل السيدة فيليبس، إلا أن الآنسة"إليزابيث" والسيد ويكهام قد عادا فجأة إلى واقع وجودهما إلى الطاولة، مع التفاف الجميع بالغرفة حول طاولة لعب الورق، واستقر السيد كولينز في مكانه بين ابنة عمه "إليزابيث" والسيدة فيليبس.

راحت السيدة فيليبس تلاحقه بالأسئلة والاستفسارات المعتادة فيما يتعلق بنجاحهفي اللعب؛ في الحقيقة أنه لم يكن نجاحاً؛ ولكن عندما بدأت السيدة فيليبس في الإعراب عن قلقها بشأن ذلك، أكّد لها بجدّية أن هذا ليس له أدنى قدر من الأهمية، وأنه يعتبر أن المال مجرد شيء تافه، ورجاها ألاتكون قلقة بهذا الشأن، قائلاً:

- أعرف جيدًا، يا سيدتي، أنه عندما يجلس الأشخاص إلى طاولة لعب الورق، يجب عليهم أن يأخذوا فرصهم في هذه الأشياء، ولحسن الحظ أنّني لستُ في مثل هذه الظروف لكي أجعل من الخمسة شلن أيّأهمية،

لا شك أن هناك الكثير ممن لايقولون نفس الشيء، لكن بفضل السيدة "كاثرين" دي بورج، فإنّني أبعد كثيرًا عن الحاجة إلى ما يتعلق بالأمور الصغيرة.

لقد جذب هذا الحديث انتباه السيد ويكهام، وبعد بضع لحظات من الملاحظة التي أبداها السيد كولينز، سأل "إليزابيث " بصوت منخفض عما إذا كانت علاقتها وثيقة الصلة بأسرة دي بورج، فقالت:

- لقد منحته السيدة "كاثرين" دي بورج في الآونة الأخيرة وظيفة كاهن، وبالكاد أعرف كيف تم تقديم السيد كولينز لأول مرة إليها، لكنه بالتأكيد لم يعرفها منذ فترة طويلة.
- أنتِ تعرفين بالطبع أن السيدة "كاثرين " دي بورجوالسيدة آن "دارسي" كانتا شقيقتين، وبالتالي فهي خالة السيد "دارسي" الابن.
- لا، في الواقع أنّني لم أكن أعرف ذلك، فأنا لم أكن أعرف شيئًا على الإطلاق عن علاقات السيدة "كاثرين "؛ ولم أسمع أبداً بوجودها قبلاليوم.
- سوف تحصل ابنتها، الآنسة دي بورج، على ثروة طائلة، ويُعتقد أنها وابن عمها سوف يدمجان العقارين.

جعلت هذه المعلومات "إليزابيث " تبتسم، بمجردأن فكرت في المسكينةالآنسة"بينجلي"؛ حيث أن جميع اهتمامها بلا جدوى، ومودتهالأخته والثناء عليه عبثاً وغير مجدية.

وهكذا استمرا في الحديث معًا، مع الرضا المتبادل، حتى وضع العشاء نهاية للعب الورق، وأعطى بقية السيدات نصيبها من اهتمام السيد ويكهام، لا يمكن أن يكون هناك فرصة للحديث في ضجيج حفل العشاء الذي تقيمه السيدة فيليبس، لكن الجميع يستحسنون تصرفاته وسلوكياته، فكل ما يقوله هو قول جيد، وكل ما يفعله هو فعل حسن.

وأصبح السيد ويكهام يشغل كل أفكار الآنسة "إليزابيث"، حتى أنها لم يكن باستطاعتها التفكير في شيء سوى السيد ويكهام وما أخبرها به، طوال الطريق إلى المنزل، ولم يكن لديها متسع من الوقت حتى لتذكر اسمه، لأنه لم تكن "ليديا " ولا السيد كولينز صامتين طوال الطريق، فقد تحدثت "ليديا" بشكل متواصل عن تذاكر اليانصيب، وعن الأسماك التي فقدتها، وعن الأسماك التي صادتها، وتحدّث السيد كولينز وأسهب في وصفه لطف السيد والسيدة فيليبس، مُشيراً إلى أنه لم يهتم في أقل تقدير إلى خسائره أثناء قيامه

بلعب الورق، وثنائه على كل أصناف وأطباق الطعام على العشاء.

*****

الفصل السابع عشر

في الصباح التالي، بعد أن كانت "إليزابيث" قد أخبرت "جاين" بقصة السيد ويكهام الحزينة كلها، استمعت "جاين" بالدهشة والقلق، لم تكن تعلم كيف تصدق أن السيد "دارسي" يمكن ألا يكون مستحقاً لاحترام السيد "بينجلي". ومع ذلك، لم يكن بطبيعتها التشكيك في مصداقية شاب يبدو محبوباً مثل ويكهام.

قالت "إليزابيث":

- يمكنني أن أصدق بسهولة أن السيد "بينجلي" كان متوهماً، أكبرمن أن أصدق أن السيد ويكهام كان قد اخترع بنفسه مثل هذا التاريخ الذي قدّمه لي الليلة الماضية، فلقد أعطانيأسماء، حقائق، وكل ما ذكره ليبدون مجاملات أو تكليف، وإذا لم يكن الأمر كذلكفطلبي من السيد"دارسي" أن ينفي ذلك أو يُكذّبه.علاوة على ذلككان هناك حقيقة في نظرات السيد ويكهام.

قالت "جاين" في حيرة واضحة:

- إنه أمر صعب بالفعل، إنه أمر محزن ألا يعرف المرء ما الذي عليه أن يصدّقه!.

تم استدعاء السيدتين الشابتين من الشجيرات، حيث جرت هذه المحادثة بينهما، بوصول الأشخاص الذين تحدثا عنهم.

فقد وصل السيد "بينجلي" وأختاه ليقدّموا دعوتهم الشخصية إلى حفلة الرقص في قاعة نيذرفيلد، كانت ستقام في يوم الثلاثاء.

أخرجت أخبار حفلة الرقص كل الأفكار الأخرى من رؤوسهن طيلة الأيام القليلة التالية، كن كلهن متشوقات لها إلى حد عظيم، حتى السيد كولينز أحس بأنه سيكون قادراً على قبول دعوة السيد "بينجلي" وأنه سيكون من المناسب لرجل دين أن يظهر في حدث من ذلك النوع، حتى أنه سأل "إليزابيث" ما إذا كانت سوف ترقص معه الرقصتين الأولين، ومع أن هذا كان آخر ما تتمناه في العالم، أحست بأنها لا تستطيع أن ترفضه، دون أن تكون قليلة الأدب، وأصيبت بخيبة الأمل إلى حد كبير، فقد كانت"إليزابيث"تأمل في أن تتمكن من أن ترقص هاتين الرقصتين مع السيد ويكهام، لكن لم يكن هناك من شيء يمكنها فعله لتجنب عرض السيد كولينز، وبدأت الآن تتساءل ما إذا كانت لديه خطط لها لتنضم إليه في حياته في هانزفورد، وأن تظهر إلى جانبه كزوجة حين تدعوه السيدة "كاثرين" دي بورج في وقت تالٍ إلى روزنجز بارك، وكانت كلما أمعنت التفكير في هذا كلما رأت أنها كانت على حق، فقد كان يفكر فيها كزوجة محتملة، وهي الفكرة التي ارتعبت منها أكثر ما سُرّت بها، ولم تكن لديها أية نيّة في قبول عرض كهذا، إذا عرض هو عليها أخيراً عرضاً.

بعد أن دخلت "إليزابيث" قاعة الرسم في نيذرفيلد، راحت تبحث بلا جدوى عن السيد ويكهام من بين مجموعة من أصحاب المعاطف الحمراء الذين تجمعوا هناك، ولم تعتقد أبداً أنه غيرموجود، كانت ترتدي ملابس اهتمت باختيارها اهتماماً أكثر من المعتاد، إلا أن سبب غيابه كان واضحاًحيث أعلن صديقه ديني أن

ويكهام قد اضطر للذهاب إلى المدينة في اليوم السابق لقضاء بعض متطلبات العمل، ولم يكن قد عاد بعد، مضيفًا، بابتسامة كبيرة :

- لا أتخيل أنه لم يحضر اليوم لأنه يريد أن يتجنب رجل معين هنا.

ويبدو أنه اضطر إلى أن يوضح هذا الأمر لعلمه أن "إليزابيث" تعتقد أن السيد ويكهام لم يحضر لكي يتجنب السيد "دارسي".

وبعد أن تحدثت "إليزابيث" عن كل أحزانها إليشارلوت "لوكاس"، صديقتها التي لم تكن قد رأتها منذ أسبوع، تمكّنت بسرعة من الانتقال الطوعي إلى تصرفات ابن عمها الغريبة.

وعانت "إليزابيث" كثيراً من أول رقصتين مع السيد كولينز، الذي لم يكن راقصاً جيداً، كانت رقصاته معها بالنسبة لها أشبهبرقصة الموت، وغالبًا ما كان السيد كولينز يتحرك دون أن يكون على دراية بخطواته، وتسبب لها في البؤس الذي لا يمكن أن يقدّمه شريك في الرقص غير مرغوب فيه، لدرجة أن لحظة انتهاء الرقص معه كان لها نشوة خاصة وبهجة غامرة.وكانت الرقصةالتالية بعد ذلك مع ضابط، وقد تحقق لها الانتعاش من الحديث حول السيد ويكهام الذي كان صديقاً له، كما سرّها أن تسمع منه أن ويكهام كان محبوباً من الجميع، وعندما انتهت هذه الرقصات عادت إلى شارلوت "لوكاس"، وتابعت حديثها معها، وفجأة وجدت نفسها أمام السيد "دارسي" الذي أخذها على حين غرة في طلبه للحصول على يدها، وطلب منها الرقصة التالية، وللمفاجأة فقد وافقت دون أن تدرك ماذا تفعل. وحاولت شارلوت أن تعرب لها عن رأيها قائلة:

- أجرؤ على القول إنك ستجدينه مقبولًا جدًا.
- لا قّدر الله، بل قولي أن ذلك سيكون أكبر مصيبة للجميع! أن تجدي رجلاً مقبولاً قد عقدتِ العزم على كراهيته!، لا تتمني لي مثل هذا الشرّ!.

ومع ذلك، اتخذا مكانهما في حلبة الرقص، وعندمااستؤنف الرقص، اقتربالسيد "دارسي" منهاوأخذيدها.

لم تتمكن شارلوت من المساعدة في تحذيرها بالهمس ألا تكون حمقاء، وألا تسمح لهواها مع السيد ويكهام أن يجعلها تظهر غير سعيدة، في عيون السيد"دارسي".

لم تُبدِ"إليزابيث" أيّ إجابة.

وأخذت مكانها في المجموعة، مندهشة من المنزلة التي وصلت إليها للسماح لها بالوقوف أمام السيد "دارسي"، وقراءة نظرات جيرانها، التي تعبر عن دهشتهم بنفس قدر دهشتها.

وظلّا لبعض الوقت دون التحدّث بكلمة، ومن ثم بدأتتتخيّل أن صمتهماسوف يدوم طوال الرقصتين، وفي البداية كانت عازمة على عدم كسر هذا الصمت، حتى تخيّلت فجأة أنه سيكون من العقاب الأكبر لشريكها إجباره على التحدّث، فأبدت بعض الملاحظات الطفيفة على الرقص، كان يجيبها، ثم يعود للصمت مرة أخرى.

وبعد التوقف عن الحديث لمدة بضع دقائق، كانت تعود فتتحدّث إليه مرّة أخرى، قالت له:

- إنه دورك لأن تقول شيئاً يا سيد "دارسي"، لقد تحدثتُ أنا عن الرقص، بينما تحدّثتَ أنت عن بعض الملاحظات بخصوص حجم الغرفة، أو عدد الثنائيات الشركاء في الرقص.

ابتسم.

أكّد لها أنها مهما كان ما تتمناه أن يقوله، فسوف يقوله!

- ممتاز؛ هذا الردّ سوف يكون كافياًفي الوقت الحاضر؛ ربما مع مرور الوقت، قد ألاحظ أن الحفلات الخاصة هي أكثر بهجة من تلك الحفلات العامة.
- لكن الآن ربما كان علينا أن نكون صامتين.
- هل تتحدثين كقاعدة عامة، إذن فعلى أحدهم أحياناً أن يتحدّث قليلاًأثناء الرقص، كما تعرفين.
- سوف يبدو غريباً أن نكون صامتين تمامًا لمدة نصف ساعة ونحن معًا ولكن قد يكون ميزة لأحدهم أن تكون المحادثة مرتبة، فقد يواجهان مشكلة بالتحدثبأقل قدر ممكن من الحديث.
- هل تستشيرين مشاعرك في مثل هذه الحالة، أمأنكِ تتخيلين أنكِ ترضينمشاعري؟

أجابت "إليزابيث" بمكر:

- كلاهما!، فقد رأيتُ دائمًا تشابهًا كبيرًا بين عقلينا، فنحن كلاناغير اجتماعيين، متحفظان في تصرفاتنا، غير راغبان في التحدث، إلا إذا كنا نتوقع أن نقول شيئًا من شأنه أن يذهل من بالغرفة جميعاً!.
- هذا ليس تشابهًا صارخًا مع شخصيتك. أنا متأكد.ما مدى قربها من شخصيتي؟.
- لا أستطيع أن أزعم شيئاًلأقوله.
- أنتِ تعتقدين أنها صورة صادقة بلا شك.
- لا يجب أن أحدد أدائي الخاص.

لم يقدم أي إجابة.

وعادا للصمت مرة أخرى، حتى انتهيا من الرقص.

وعندما سألها إذا كانت هي وشقيقاتها لم يذهبن كثيراً إلى ميريتون، أجابت بالإيجاب، وكانت عاجزة عن مقاومة إغرائهفأضافت:

- عندما قابلتنا هناك في ذاك اليوم، كنا فقط نكوّن معارف جديدة.

كان التأثير فوريًا، إذ غطت ظلال عميقة من الكبرياء والغرور ملامحه، ولكنه لم يقل كلمة واحدة.

وراحت "إليزابيث"تلوم نفسها على ضعفها، ولم تستطع أن تستمر.

تكلم "دارسي"بإسهاب.

قال بطريقة مصطنعة:

- إن السيد ويكهام ينعم بمثل هذه الأساليب السعيدة التي من شأنها تكوين
الأصدقاء، سواء أكان قادرًا بالتساوي على الاحتفاظ بهم والإبقاء عليهم، على قدم المساواة، غير مؤكد!

قالت "إليزابيث" بنبرة تأكيد:

- لقد كان سيئ الحظ أن فقد صداقتك، وبطريقة من المرجح أنه سوف يعاني منها طوال حياته.

لم يقدّم "دارسي" أيّ إجابة، وبدا أنه يرغب في تغيير الموضوع.

في تلك اللحظة، ظهر السير ويليام "لوكاس" بالقرب منهم، كان يعتزم المرور عبر المجموعة إلى الجانب الآخر من الغرفة، ولكن عند إدراكه للسيد "دارسي"، توقف مع انحناءة كبيرة لكي يُثني عليه وعلى شريكته في الرقص على رقصتهما، قائلاً:

- لقد شعرتُ بسعادة غامرة يا سيدي العزيز، فهذا الرقص الرائع جداً لا نراه في كثير من الأحيان، من الواضح أنك تنتمي إلى الصف الأول من الراقصين، اسمح لي أن أقول، مع ذلك، إن شريكتك الجميلة لم تخزِلكَ، ويجب أن آمل أن تتكرر هذه المتعة، خاصة عندما يكون هناك حدث معين مرغوب فيه، يا عزيزتي " إليزا".

ثم ألقى نظرة عابرة على أختها الآنسة "جاين"، والسيد "بينجلي".

ما التهاني التي سوف تتدفق بعد ذلك! أناشد السيد "دارسي": لكن دعني لا أقاطعك يا سيدي، لن تشكرني على احتجازك من الحديث الساحر لتلك السيدة الشابة، التي كانت عيونها اللامعة تلومني أيضًا.

بالكاد سُمِع الجزء الأخير من هذا الحديث من قِبَل "دارسي"، ولكن يبدو أن تلميحات السير "وليام" إلى صديقه كانت قد مسّته بالقوة، وكانت عيناه موجهتان بتعبير شديد الجدية تجاه "بينجلي" و"جاين"، اللذين كانا يرقصانمعاً،ومع ذلكاستعاد نفسهبعد فترة وجيزة، والتفت إلى شريكته في الرقص قائلاً:

- إن مقاطعة السير "وليام" جعلتني أنسى ما كنا نتحدث عنه.
- لا اعتقد أننا كنا نتحدث على الإطلاق، ولم يكن السير"وليام"يستطيع مقاطعة شخصين في الغرفة لديهما أقل شيء يمكنهما قوله عن نفسيهما، ولقد جربنا موضوعين أو ثلاثة بالفعل دون نجاح، وعن ماذا يمكننأن نتحدث بعد ذلك، لا يمكنني أتخيّل شيء.

قال السيد "دارسي" مبتسماً:

- ما رأيك في الكتب؟
- الكتب؟!، أوه! لا، أنا متأكدة من أننا لم نقرأ عن نفس الشيء أبدًا، أو أننا لا نقرأ بنفس المشاعر.
- أنا آسف لأنكِ تعتقدين ذلك، ولكن إذا كان هذا هو الحالفلا يمكن أن يكون هناك موضوع على الأقل. قد نقارن آرائنا المختلفة.

- لا، لا أستطيع التحدث عن الكتب في قاعة الاحتفالات، رأسي ممتلئ دائمًا بشيء آخر.

قال لها، بنظرة من الشك :

- إن اللحظة الآنية هي التيتشغل بالك دائمًا في مثل هذه المشاهد. هل هذا صحيح؟

أجابت بطريقة تلقائية دون أن تعرف أو تعني ما تقول، لأن أفكارها كانت تهيم بعيداً عن هذا الموضوع :

- نعم، دائمًا.

ولكن بمجرد أن عادت لنفسها فجأة، صاحت:

- إنني أتذكر يا سيد "دارسي" حين سمعتك ذات مرة تقول، أنك بالكاد أبدًا ما تسامح، أن تستاء وتغضب مرة واحدة، فإن هذا يخلق حالة من عدم الاسترضاء، أنت حذر جدًا، كما أظن.

ردّ السيد "دارسي" بانفعال شديد، وصوت مرتفع:

- نعم أنا كذلك، ولا تسمحي أبداً لنفسكِ أن تتعامي بالانحياز والمحاباة.
- آمل ألا يحدث ذلك.
- إنه أمر محتومبصفة خاصة لأولئك الذين لا يغيّرون أبدًا رأيهم أو وجهة نظرهم، لكي يكونوا آمنين من الانحياز بشكل صحيح في البداية.

سألها في نبرة استنكار :

- هل يمكنني أن أسأل إلى أين تتجه هذه الأسئلة؟

أجابته الآنسة "إليزابيث" وهي تحاول أن تتخلص من حرجها:

- فقط لتوضيح شخصيتك، أنا أحاول إظهارها.
- وما هو مدى نجاحك؟

هزت رأسها وقالت :

- أنا لا أنجح على الإطلاق، بل أسمع روايات مختلفة عنك، تربكني إلى أبعد حد.

أجابها بوقار:

- يمكنني أن أصدّق بسهولةأن الأخبار قد تختلف اختلافًا كبيرًا بالنسبة لي، وأتمنى، يا آنسة "بينيت"، ألا تقومي برسم أو تصوير شخصيتي في الوقت الحالي، لأن هناك سببًا للخوف من أن الأداء لن يعكسلي مفخرةأيّاً كان.
- ولكنني إذا لم أكوّن صورة عنك الآن، فقد لا أحصل أبداً على فرصة أخرى.

قال بفتور:

- إنني لا أضع حداً لأيّ متعة لكِ بأيّ حال من الأحوال.

لم تقل شيئاً.

ونزلا عن الرقصة التالية.

وافترقا في صمت.

وشعر كلاهما بأنهما غير راضين، غير متوافقين.

وفي صمت.

سلكا طريقين منفصلين.

إلا أن عدم رضائهما عما حدث، لم يكن بدرجة متساوية، لأنه في صدر السيد "دارسي"، كان هناك شعوراً قوياًمقبولاً نوعاً ما تجاهها، والذي سرعان ما جعله يسامحها، ويلتمس لها الأعذار، ويوجه كل غضبه ضد أطراف أخرى!.

ولم ينفصلا لفترة طويلة.

عندما جاءت الآنسة "بينجلي" نحوها، وبتعبير عن الازدراء المهذّب، دنت منها، وبادرتها بالحديث:

- يا آنسة إ"ليزا"، لقد سمعتُ أنكِسعيدة جدًا مع جورج ويكهام! وكانت أختك تتحدث معي عنه وتسألني ألف سؤال، ووجدتُ أن الشاب نسيَ أن يخبركم، من بين تبادل الأفكار والمعلومات، أنه كان ابنويكهام الكبير، وكيلالمرحوم السيد "دارسي" الراحل، دعيني أنصحك، كصديقة، بعدم إعطاء ثقة ضمنية لجميع تأكيداته؛ لأنه فيما يتعلق باستخدام السيد "دارسي"السيء له، فإنه غير صحيح تمامًا، لأنه على العكس من ذلك، كان دائمًا لطيفًا جداً تجاهه، على الرغم من أن جورج ويكهام قد تعامل مع السيد "دارسي" بطريقة شائنة، أنا لا أعرف التفاصيل، لكنني أعلم جيدًا أن السيد "دارسي" ليس محل لوم على الأقل، وأنه لا يستطيع أن يتحمل سماع جورج ويكهام المذكور وعلى الرغم من أن أخي اعتقد أنه لا يمكنه تجنب إدراجه جيدًا في دعوة

للضباط، وقال أنه كان سعيداً للغاية عندما وجد أن السيد ويكهام قد أخرج نفسه عن الطريق، إن مجيئه إلى البلاد كان شيئاً وقحاً على الإطلاق، وأتساءل كيف يمكن أن يتجرأ على القيام بذلك، وأنا أشفق عليك، يا آنسة "إليزا"، على اكتشاف ذنبك المفضل، لكن في الحقيقة، بالنظر إلى أصله، لا يمكن للمرء أن يتوقع أفضل من ذلك بكثير.

قالت "إليزابيث" بغضب :

- إن أصله وذنبه هما نفس الشيء بناء على حساباتك، ولقد سمعتُ أنكِ تتهمينه بأنه لا يوجد شيء أسوأ من كونه ابنوكيل السيد "دارسي" وأنه ويمكنني أن أؤكد لكم ذلك، هو من أخبرني ذلك بنفسه.

قالت لها الآنسة "بينجلي":

- استميحكِ عذراً!

واتجهت بعيداً بنظرة ساخرة، وهي تقول:

- عذرًالتدخلي، فقد كان المقصود به الخير لكِ.

قالت "إليزابيث" لنفسها :

"فتاة وقحة متكبرة!، أنتِ مخطئة كثيرًا إذا كنتِ تتوقعين التأثير عليّ بهجوم تافه كهذا، لا أرى شيئًا في الأمر سوى جهلك الجامح، وحقد السيد "دارسي"" ثم بحثت عن أختها الكبرى.

في النهاية كانت "جاين" هي السعيدة، وهي التي أنقذت الأمسية بالنسبة إلى "إليزابيث"، رقص السيد "بينجلي" عدة مرات مع "جاين"، وقد بدت هي

الشخص الوحيد في الغرفة الذي أراد في الواقع أن يقضي معها الأمسية، وقد لاحظت أمها ذلك أيضاً، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي كانت ترغب في الحديث عنه مع السيدة "لوكاس" أو صديقاتها الأخريات، ورغم أن "إليزابيث" حاولت لمرات عديدة أن تجعل أمها تغير الموضوع، خاصة عندما علمت أن السيد "دارسي" كان قريباً منها كفاية لأن يسمع لتعليقات أمها التي لا تنتهي على سعادة هذا الزوج من الشباب الأصدقاء، ولقد بدا الأمر بالنسبة إلى "إليزابيث" أن أمها قد قررت أن تبدو سخيفة بأكبر قدر ممكن!، خلال فترة هذه الأمسية، وكانت تأمل فقط أن يكون السيد "بينجلي" قد ركز على "جاين" كثيراً وألا يكون قد لاحظ أمها إطلاقاً.

وأخيراً انتهت الأمسية، ووقف الجميع يودعون السيد "بينجلي" وأختيه، وهم ينتظرون عرباتهم، التي كان من المفروض أن تغادر آخر العربات.

كان السيد "بينجلي" و"جاين" يقفان مع بعضهما وكانا يتحدثان مع بعضهما فقط، وكانت أختا السيد "بينجلي" نادراً ما يفتحان فميهما ورفضتا الدخول في حوارات مع السيدة "بينيت"، ولم يقل السيد "دارسي" شيئاً لأيّ أحد، إلا أن السيدة "بينيت" كانت مغتبطة تماماً، وتركت نيذرفيلد يملأها الشعور الأكيد أنها قريباً سوف ترى "جاين" قد استقرت سعيدة هناك، وبوعد من السيد "بينجلي" أنه سوف يأتي لتناول الغداء معهم في "لونغ"بورن فوراً بعد عودته من لندن، حيث اضطر إلى أن يذهب لقضاء بعض الأعمال هناك في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي قدّم السيد كولينز عرضه للآنسة "إليزابيث"، فقد قرر ألا يهدر المزيد من الوقت، حيث أن آخر يوم في إجازته كان هو يوم السبت القادم، ولقد تحدث أولاً مع السيدة "بينيت"، وتأكد تماماً من أنها لن تعارض زواجه من "إليزابيث" في المستقبل. قالت له في مودة:

- أو يا عزيزي، نعم، لاأنا متأكدة من أن "ليزا" سوف تكون سعيدة جداً.

ثم وجهت حديثها إلى "كاثرين" قائلة:

- تعالي معي يا "كاثرين" من فضلك، إنني أريدك في الطابق العلوي الآن

وغادرت الغرفة بسرعة مع "كاثرين"، تاركة "إليزابيث" بمفردها مع السيد كولينز.

وكانت "إليزابيث" قد قررت أن تنهي هذا الأمر رسمياً بأسرع قدر ممكن، ولذلك، وبمجرد أنا أصبحا بمفردهما معاً، بدأ السيد كولينز.

كان جاداً جداً، وحذر، لمدة بضع دقائق، وكانت "إليزابيث" تضحك لبعض الأشياء التي كان يقولها، وعلى أيّ حال، كان من الضروري جداً أن تقاطعه لكي توضح له أنها لن تقبل منه عرضاً أبداً، وتحت أيّ ظرف من الظروف، أن تكون زوجة له.

وفي البداية، لم يأخذ السيد كولينز الأمر على أنها ترفض عرضه للزواج منها، وكان يعتقد أنها قد تكون لعبة تلعبها الفتيات عندما يتقدّم رجل مهذّب للزواج بها، في حين تكون بداخلها موافقة على الزواج.

وكان هذا هو ما جعل "إليزابيث" تقول له:

- صدّقني يا سيدي، إنني ليس لديّ أيّ نيّة أبداً لقبول عرضك للزواج بي، وسوف أكون أكثر سعادة إذا كنتَ أنتَ تصدّق أنّني مخلصة في قولي هذا حالاً، هل يمكنني أن أتحدّث معك بوضوح أكثر وشفافية؟، إنّني أتحدّث معك من قلبي.

بعد أن أخبر السيد كولينز السيدة"بينيت" أن "ليزا" قد رفضته كزوج لها، وبعد أن أخبرت السيدة "بينيت" السيد "بينيت" بالأمر وطلبت منه أن يتحدث رسمياً مع "إليزابيث" لكي يقنعها بالموافقة، ويجعلها تقبل عرض السيد كولينز بالزواج، وبعد أن تحدث السيد "بينيت" إلى ابنته وأخبرها أنه لن يتحدث إليها أبداً في هذا الأمر إذا كانت لا ترغب في الزواج من السيد كولينز، وبعد أن أخبر زوجته نفس الرأي الذي أخبر به "إليزابيث"، بعد كل هذا، بدأ السيد كولينز يدرك أن الآنسة "إليزابيث"ترفض عرضه للزواج!.

ولكنه لم يفهم لماذا تتصرف ابنة عمه على هذا النحو، وبالرغم من أن هذا يجرح كبرياءه ولو قليلاً، فقد وجد نفسه يعاني معاناة لم يشعر بها من قبل

وكانت الأيام تمضي مزعجة غير سعيدة، بعد هذا الذي حدث، قبل أن تحاول السيدة "بينيت" أن تقنع "إليزابيث" مرة أخرى، ولكن السيد كولينز كان قد بدأ يستعيد نفسه مجدّداً، وسرعان ما انتهى تأثير سلوك ابنة عمه الذي ينطوي على نكران الجميل، وكان نادراً ما يتحدث معها، بل كان يوجه اهتمامه وانتباهه إلى صديقتها، شارلوت "لوكاس"، ابنة السير وليام والسيدة "لوكاس".

في خلال هذه الفترة كانت الأخبار المفاجأة تأتي من نيذرفيلد، أن السيد "دارسي" وأخوات السيد "بينجلي" قد قرروا أن يتبعوا السيد "بينجلي " إلى لندن، حيث كان قد ذهب إلى هناك في رحلة عمل، وأنهم لا يبدو أنهم سوف يعودون مرة أخرى إلى قاعة نيذرفيلد.

قرأت "جاين" الرسالة، التي كتبتها لها أخت السيد"بينجلي" الصغرى، فور أن ذهبوا إلى لندن.

قالت "إليزابيث" بعد أن استمعت إلى فحوى الرسالة:

- ولكن السيد"بينجلي" نفسه لن يستقر في لندن؛ أعتقد ذلك!

فقالت لها "جاين":

- كيف ذلك وقد أوضحت أخته أن لا أحد من المجموعة سوف يعود هذا الشتاء، يبدو أن أخت السيد "دارسي" الصغرى موجودة في المدينة، وأن السيد "بينجلي" يرغب في رؤيتها بفارغ الصبر. يبدو أن الآنسة "بينجلي" سعيدة جداً لفكرة أن أخاها سوف يجد الآنسة "دارسي" جذابة، ومن الواضح بالنسبة لي أنها أيضاً سعيدة لفكرة أنني لن أصبح أختها!

وصمتت "جاين" بعدها، واكتفت بأن هزّت رأسها في حزن.

أوضحت "إليزابيث" رأيها قائلة:

- إن الآنسة "بينجلي" تدرك أن أخاها يحبك، ولكنها تريده أن يتزوج من الآنسة "دارسي"، هذه هي الصورة التي أرى عليها هذا الأمر، ولقد

تبعته إلى المدينة على أمل أن تجعله يظل هناك ومن ثم تقنعه أنه لا يحفل بك. إن أيّ شخص يكون قد رآكما معاً لن يمكنه أبداً أن يشك في أنه يحبكِ. إنني لا يمكن أن أصدق أنه يفكر فيكِ اليوم أقل مما كان يفكر فيك عندما ودعك بعد الحفل يوم الثلاثاء، كما أنني لا أصدق أن أخته سوف تجد الأمر سهلاً لإقناعه أنه لا يحبكِ هذا الحب الكبير، بل يحب صديقتها بدلاً منكِ!.

مع ابتسامة باهتة، وبأمل يترنح، غير مكتمل، قالت "جاين":

- أتمنى أن أستطيع أن أرى الأمر على هذا النحو، ولكن يا أختي العزيزة، كيف يمكنني أن أكون سعيدة، حتى وأنا أفكر أن أخته وصديقاتها يرغبن في زواجه من فتاة أخرى؟

أجابتها "إليزابيث" بقوة:

- يجب أن تقرري لنفسك، إذا كنتِ لا تشعرين بخيبة أمل، فإن أخواته وصديقاتهن على قدر كبير من الأهمية، أكثر من الشعور بالسعادة بأن تكوني زوجته، وعندها بالطبع، عليك أن ترفضيه.

قالت "جاين" وقد ارتسمت ملامح الحزن على ابتسامتها :

- كيف تقولين مثل هذه الأشياء؟ يجب أن تعلمي أنني لم أكن لأرفضه أبداً، ولكن إذا كان يفكر بألا يعود إلى نيذرفيلد هذا الشتاء، إذن لن يكون هناك ضرورة أبداً لاختياراتي. إن ألفاً من الأشياء قد تحدث في خلال ستة أشهر.

على أيّ حال، لم تكن "إليزابيث" تصدق في الواقع قصة عدم عودة السيد "بينجلي" إلى نيذرفيلد، وقد قالت ذلك، بدافع من أختها.

ولذلك، سرعان ما شاهدت تأثير هذا الرأي على ملامح أختها "جاين "، مما أسعدها كثيراً.

فقد بدأت "جاين" تأمل أن كل أمنية من قلبها سوف تتحقق ذات يوم، بطريقة ما.

*****

الفصل الثامن عشر

ركّز السيد كولينز اهتماماته أكثر وأكثر على صديقة "إليزابيث "، شارلوت "لوكاس"، لمدة يوم أو يومين، وكانت السيدة "لوكاس" لطيفة جداً وبالقدر الكافي لأن تسمعه بطريقة مهذّبة.

قالت "إليزابيث" لصديقتها شارلوت :

- إنني في غاية الامتنان لكِ يا شارلوت، إن هذا يجعله في مزاج جيد.

كانت شارلوت تشعر أنها تفعل شيئاً نافعاً لصديقتها، وكانت سعيدة جداً أن تتنازل عن بعض الوقت من أجل تحقيق هذه الغاية لصديقتها؛ ولكن "إليزابيث" لم تكن تشُكّ في حقيقة غرض صديقتها، والذي كان الهدف منه هو جذب انتباهالسيد كولينز إليها، وسرعان ما بدأت شارلوت تشعر أنها قد تحقق بعض النجاح، إذا كان السيد كولينز لن يترك الحي بسرعة، بعد انتهاءإجازته، إلا أنها لم تكن تدرك أنها قدّرت حجم النيران بأقل من حجمها، ومدى استقلال شخصية السيد كولينز، التي قادته للهروب بهدوء من منزل "لونغ"بورن مبكراً جداً في صباح اليومالتالي، ولأن يسرع إلى منزل السيد "لوكاس"ويُلقي بنفسه تحت قدميها!.

كان مهتماً لدرجة أنه لم يكن لإحدى بنات عمه أن تلاحظ مغادرته المبكرة، أو حتى تتمكن من أن تُخمّن ماذا كان الغرض من هذه المغادرة، كما أنه لم يكن يرغب في أن تعرفن شيئاً عن هذا الأمر حتى تُعلن شارلوت موافقتها على الزواج منه.

فقد كان لا يزال يشعر بقدر ضئيل من الثقة في نفسه، أقل من القدر الذي شعر به عندما فشل في مغامرته مع "إليزابيث" يوم الأربعاء.

ولكن ما حدث هو أن شارلوت استقبلته بطريقة مشجعه جداً.

لقد رأته من نافذة الطابق العلوي، وهو يقترب من المنزل وفوراً تحركت لمقابلته في الطريق وكأنها صدفة.

لم تكن تجرؤ أبداً أن تحلم أن تجد كل هذا الحب، وكل هذا الحديث المخطط له بهذا القدر من الاهتمامبها.

في الوقت الذي سمحتبه خُطب السيد كولينز الطويلة، كان كل شيء قد تم تسويته بينهما، وطلب منها تحديدموعداً لكي يكون فيه أسعد رجل.

أما عن الآنسة "لوكاس" التي وافقت عليه فقط لكي تجد زوجاً له دخل معقول بأسرع ما يمكنها ذلك، لم تكن تهتم بتحديد يوم للزواج.

وافق السير وليام والسيدة "لوكاس" بسرعة على طلب السيد كولينز يد ابنتهما للزواج؛ حيث أن ظروفه الحالية في هانزفورد، وآماله في الثروة المستقبلية بعد وفاة السيد "بينيت" في منزل "لونغ" بورن، جعلت منه شخصاً محترماً ومناسباً لها.

كانت شارلوت نفسها راضية، فقد كانت في السابعة والعشرين من عمرها، ولم تكن على قدر من الجمال، ولكنها لن تظل الآن غير متزوجة، حتى إذا كان السيد كولينز غير عاقل، وغير مقبول، وحتى إذا كان حبه لها مجرّد تخيّلي.

فسوف يظل زوجها. ولم تكن تفكر بصورة أعلى من ذلك ولا في الرجال، ولا في الزواج لحد ذاته؛ فقط كل ما كان يهمها هو الزواج من أجل تحقيق المستقبل الآمن لنفسها بالقدر الكافي من الأموال التي تمكّنها من العيش الراغد.

طبعاً كانت "إليزابيث" سوف تفاجأ جداً، وقررت شارلوت أن تنقل الأخبار لصديقتها بنفسها، ولذلك فقد طلبت من السيد كولينز ألا يخبر أحداً بالأمر عندما يعود إلى منزل "لونغ"بورن لتناول الغداء.

وفي اليوم التالي، بعد الانتهاء من تناول طعام الإفطار مباشرة، قامت شارلوت بزيارة "إليزابيث"، وأخبرتها بالأمر على انفراد.

لقد خطر على بال "إليزابيث"مرة أو مرتين، في آخر يوم، أو يومين، إمكانية أن يتخيّل السيد كولينز نفسه، وقد وقع في حب صديقتها، لكنها كانت مندهشة أن شارلوت هي التي شجعته.

لم تستطع "إليزابيث"أن توقف نفسها من الصياح في وجه صديقتها شارلوت:

- تزوجي من السيد كولينز يا عزيزتي شارلوت، كنتُ أعتقد أن هذا مستحيل.

إلا أن ملامح وجه شارلوت الجادّة كانت تقول أن هذا غير مستحيل !

وقد حاولت "إليزابيث" أن تبذل مجهوداً عظيماً لكي تتحكم في نفسها وفي كلامها ومشاعرها.

تمنت "إليزابيث"لصديقتها كل السعادة المُمكنة.

ولم تبقَ شارلوت بعيدة كثيراً في ذلك الصباح، تاركة "إليزابيث"لتفكر في هذا الجزء من الأخبار.

لم تستطع "إليزابيث"منع نفسها من الشعور أن صديقتها تصرفت تصرفاً غير لائق تماماً، بل أسوأ من ذلك، لقد شعرت بالقلق أن يكون من المستحيل لصديقتها أن تكون حقاً سعيدة بالمستقبل الذي اختارته.

قبل السيد كولينز بسعادة دعوة السيد "بينيت" لزيارتهم مرة أخرى، وكانت "إليزابيث" هي الوحيدة التي علمت بالأخبار، بينما كان الآخرون مندهشون أنه كان يفكر في قبول الدعوة للعودة إليهم قبل مرور فترة طويلة، خاصة بعد الإحراج الذي سببه رفض عرضه للزواج من قِبل "إليزابيث"، ولكن، في وقت متأخر من هذا اليوم زارهم السير ولي ام "لوكاس " وأخبر السيدة "بينيت"وبناتها أن شارلوت قد وافقت على عرض الزواج من السيد كولينز.

فقالت له السيدة "بينيت":

- سير وليام، كيف يمكنك أن تروي لنا مثل هذه القصة؟

إلا أنه تقبّل فظاظتها بصورة مهذّبة وبطريقة رسمية، على الرغم من إحساسه الشديد بفظاظتها، وقد ساعدته "جاين" و"إليزابيث" على هذا الموقف غير البهيج بأن قدّمن له التهاني وبحديثهن عن السعادة التي يمكن أن يتوقعها السير وليام "لوكاس" والسيدة "لوكاس" لابنتهما نتيجة هذا الزواج، وعن الشخصية الممتازة للسيد كولينز، وعن المسافة المناسبة بين هانزفورد ولندن.

وبعد مغادرة السير وليام كان لدى السيدة "بينيت" الكثير لتقوله حول هذا الموضوع، بالطبع.

كان معظم حديثها عن ضياع فرصة "إليزابيث" في الزواج من زوج له دخل كبير، وأنها كانت هي السبب في أن ابنة صديقتهم تزوجت قبلها وقبل كل أخواتها.

وكان قد مرّ أسبوع قبل أن ترى السيدة "بينيت" "إليزابيث" وتتناول الحديث عن مثل هذه الأمور.

وربما كان شهر كامل قد انقضى قبل أن تتحدث مع السير ولي ام والسيدة "لوكاس" بدون أن تكون فظّة في حديثها معهما.

كانت كل من "إليزابيث" وشارلوت حريصتان ألا تتحدثان مع بعضهما البعض حول هذا الموضوع.

وساعدت خيبة أمل "إليزابيث" في شارلوت في توجيه اهتماماتها العاطفيه أكثر وأكثر إلى قلق "جاين" بخصوص استمرار غياب السيد "بينجلي" عن الحي، وإلى حقيقة أنهم لم يسمعوا شيئاً عن نواياه في العودة.

ومر يوم بعد يوم؛ بدون أن ترد أخبار عنه وبدأت "إليزابيث" تخشى؛ ليس لأنهلم يهتم بأمر "جاين"، ولكن لأن أختيه قد نجحتا في أن تجعلانه بعيداً، كما أن جاذبية لندن، في النهاية، قد تكون أقوى من جاذبية "جاين" له.

"جاين" نفسها كانت قلقة بهذا الغياب المستمر، رغم أنها كانت تحاول إخفاء مخاوفها، ولم تتحدث عنها أبداً، ولا حتى إلى "إليزابيث".

وصلت رسالة من السيد كولينز؛ يشكرهم فيها بلا حدود لاستضافتهم له ولكي يخبرهم أن السيدة "كاثرين" دي بورج كانت سعيدة بأخبار اقتراب موعد زواجه، وأنها كانت تتمنى أن يتم الزواج بأسرع ما يمكن.

ولذلك فقد انتوى العودة إلى منزل "لونغ" بورن في غضون أسبوعين، لمناقشة وإنهاء ترتيبات الزواج من شارلوت.

وبعد وصوله لهذه الزيارة استقبلته السيدة "بينيت" بأقل قدر من الترحيب ومشاعر الصداقة، وكان يقضي معظم الوقت من كل يوم في منزل السيد "لوكاس" نتيجة عدم حرارة استقباله من قِبل السيدة "بينيت".

ماذا كان يدور في عقل السيدة "بينيت" من أشياء أخرى هو حقيقة أن شارلوت "لوكاس"؛ وليست واحدة أخرى من بناتها، هي التي سوف تكون سيدة المنزل في "لونغ" بورن، بعد وفات السيد "بينيت".

لماذا يجب أن تأخذ هذه الفتاة ثروة العائلة وهذا المنزل ؟

كان هذا السؤال يدور في ذهنها بإلحاح.

*****

الفصل التاسع عشر

وصلت رسالة أخرى من الآنسة "بينجلي" لتضع حدّاً لأيّ أمل كانت تحتفظ به "جاين" أن ترى السيد "بينجلي" في نيذرفيلد مجدداً.

كانت تقول في رسالتها أنهم قضوا معظم وقتهم في منزل السيد "دارسي" بلندن وأنهم قابلوا أخت السيد "دارسي" كثيراً.

إلا أن "إليزابيث"، التي قرأت "جاين" لها الرسالة، كانت لديها الشكوك في أن السيد "بينجلي" لديه أيّة جاذبية للآنسة "دارسي"، أو أن حبه لأختها "جاين" أصبح أقل من ذي قبل. وما جعلها غاضبة هو أنه، وبهذه البساطة، وبتدخل أصدقاؤه في حياته الشخصية، يقتنع بالتنازل عن أفكاره في الاستمرار لرؤية "جاين"، وكل الأفكار لسعادتها الممكنة معاً. وبدأت تتساءل إذا كان السيد "بينجلي" يدرك حقيقة كم تحبه "جاين". ربما أن "جاين" لم تكن قد وضّحت هذا له على الإطلاق، ربما هو نفسه يشك في هذا، وليس لديه الثقة في النفس بما يكفي لكي يدرك مدى حبها له، ولكي يجادل آراء ورغبات أصدقاؤه. ولم يكن لديها شيء آخر تفكر فيه غير هذا.

وأيّاً كانت الحقيقة، فإنها شعرت أن السيد "بينجلي" لا يتصرف جيداً تجاه أختها "جاين"، وذهبت أفكارها حوله إلى الأسفل نتيجة هذه التصورات.

قالت "جاين" لأختها "إليزابيث" :

- إنني فقط أرغب في أن تراقب أمنا العزيزة نفسها أكثر من ذلك، ولا تتحدث عنه معي كثيراً هكذا، إنها ليس لديها أيّ فكرة عن الألم الذي

تسببه لي بهذه الأحاديث المطوّله عنه، ولكن لا يمكنها أن تستمر طويلاً على هذا النحو، فسوف أنساه قريباً، وسوف نكون سعداء كما كنا من قبل.

نظرت "إليزابيث" إلى "جاين" في ذهول، ولم تقل شيئاً.

بدت على وجه "جاين" حمرة خفيفة، وقالت لأختها:

- أنتِ لديكِ بعض الشكوك بي يا "إليزابيث"، ولكن ليس لديكِ سبباً لذلك، وسوف أتذكره دائماً على أنه أكثر رجل عرفته وتقبلته، ولكن هذا هو كل شيء، ربما يحتاج الأمر بعض الوقت، ولكنني من المؤكد سوف أتخطى مشاعري الحالية وأتغلب عليها، ولديّ راحة لأن أعرف أن الأمر كان خطأ في تصوراتي وخيالي، وأنني لم أؤذِ أحداً إلا نفسي.

أما "إليزابيث" فلم تكن تفهم الأمر على هذا النحو، على أيّ حال، وأوضحت لأختها "جاين" قائلة:

- إنني أعتقدأن أصدقاء السيد "بينجلي"، وبصفة خاصة السيد "دارسي"، هم المسؤولون عن قراره بعدم العودة إلى نيذرفيلد، لأنهم كانوا يهتمون أكثر بتنمية ثروة السيد "بينجلي" وأهمية مكانته الاجتماعية عن طريق زواجه من إحدى الفتيات الثريات اللاتي تمتلكن الثروة والأموال، من عائلة معروفة جيداً بالفخر والكبرياء، أكثر من اهتمامهم بالتأكّد ما إذا كانت سعادته في الحياة تتحقق بزواجه من الفتاة التي يحبها فعلاً.

فأجابتها "جاين" قائلة:

- يبدو أنهم يرغبون في أن يختار الآنسة "دارسي". ولكنه إذا كان حقاً يحبني فلن ينجحوا في تفريقنا وفصلنا عن بعضنا، إنني لا أخجل من أنني قد ارتكبتُ هذا الخطأ وأحببته، وأفضّل أن أعتقد ذلك أكثر من أن أعتقد أنه وأصدقاؤه لم يكونوا يتصرفون معي تصرفات جيدة، لذا دعيني استمر في التفكير في هذا الأمر وأحاول فهمه على هذا النحو، من فضلك يا أختي العزيزة.

ومن هذا الوقت فصاعداً، لم يتم ذكر اسم السيد "بينجلي" بينهما إلا نادراً.

كانت إقامة السيد كولينز الثانية في "لونغ "بورن قد انتهت بسرعة وعاد إلى عمله في هانزفورد، وكان يشعر براحة مع فكرة أنه عند عودته القادمة إلى"لونغ "بورن سوف يحدّد اليوم الذي تصل فيه زوجته شارلوت.

وبعد رحيله مباشرة وصل أخو السيدة "بينيت" وزوجته من لندن، للبقاء حتى رأس السنة، كان السيد جاردنر حساس متعقل جيد التعليم كالرجال المهذّبون، يختلف تماماً عن أخته في كل النواحي، وكانت زوجته، التي تصغر عن السيدة "بينيت" بعدة سنوات، محبوبة أيضاً، وامرأة ذكية، وصديقة عظيمة لبنات أخت زوجها في "لونغ "بورن، وبخاصة الابنتين الكبيرتين.

كانت منزعجة لسماع القصة الحزينة لصداقة "جاين " مع السيد "بينجلي " وتساءلت إذا كان من الجيد للآنسة "جاين" أن تعود إلى لندن معها ومع زوجها

بعد أعياد رأس السنة؛ للبقاء هناك عدة أسابيع وتبتعد عن البيت وتغير المكان والصُحبة.

وفكرت "إليزابيث" أنها فكرة ممتازة.

قالت السيدة جاردنر :

- ولكنني آمل ألا تتوقع أن تقابل هذا الشاب في لندن، فنحن نعيش في منطقة مختلفة من المدينة، ولنا أصدقاء مختلفون تماماً؛ على أيّ حال وكما تعلمون؛ فنحن لا نخرج كثيراً، ولذلك فإنه من غير المحتمل أن يتقابلا، إلا إذا جاء لكي يراها، بالطبع.

قالت "إليزابيث" :

- هذا مستحيليا خالتي العزيزة؛ لأنه سوف يكون تحت الحراسة الجيدة من صديقه، وأنا متأكدة من أن السيد "دارسي" لن يكون راغباً في أن يدعه يزور "جاين" في حي قديم وغير راقي من أحياء لندن مثلهذا.
- هذا جيد، وأنا آمل ألا يلتقيا على الإطلاق إذن.

ولكن "إليزابيث" بالكاد كانت تأمل أن يقابل السيد بينجلي، بطريقة أو بأخرى؛ "جاين" في لندن وأن كل حبه لها سوف يتجدد. إنها مسألة احتمالات.

وافقت "جاين" على دعوة خالتها بسعادة غامرة، وتطلعت بلهفة لإقامتها في لندن، ولكنها لم تذكر أبداً السيد "بينجلي"، على الإطلاق.

كان الأسبوع الذي قضاه آل جاردينر في "لونغ"بورن مشغولاً جداً.

كانت السيدة "بينيت" قد رتبت الغداء والحفلات لهم، والسيد ويكهام ومعه بعض الضباط الشبان كانوا ضيوفاً متواترين. وكان يمكن للسيدة جاردينر مراقبة "إليزابيث" والسيد ويكهام معاً، وكانت ترى أنهما غير جادين في الحب، وأنهما من نفس المكان من ديربيشاير ولهما الكثير من الأصدقاء هناك.

كانت السيدة جاردينر تعرف منزل عائلة السيد "دارسي"، وحي بيمبرلي، ودائماً ما كانت تسمع كم كان رجلاً رائعاً السيد "دارسي" الأب. كان لديهما الكثير للحديث عنه؛ وتذكرت الأماكن والناس الذين كانوا أصدقاء مشتركون لهما، وكانت السيدة جاردينر مندهشة من قصة السيد "دارسي" الشاب غير العادلة، وسلوكه تجاه ويكهام، رغم أنها تذكرت أن الناس قالوا أن السيد "دارسي" كان شاباً فخوراً جداً.

ولم تكن السيدة جاردينر سعيدة؛ على أيّ حال، أن ترى "إليزابيث " على هذا القدر من الصداقة مع رجل مثل ويكهام، بلا ثروة، ولا مستقبل مضمون، وقد قررت أن تتحدث مع ابنة أخت زوجها، بخصوص هذا الأمر قبل سفرها إلى "لونغ"بورن.

وعندما فعلت ذلك، ضحكت "إليزابيث" وهي تعدها بأنها ليست على حب مع السيد ويكهام، مع أنها ترى أنه واحداً من أكبر الرجال السارّين الذين عرفتهم.

قالت لها "إليزابيث" وهي تضحك مرة أخرى:

- إنه لا يزورنا كثيراً، كما تعلمين، ومن أجل مصاحبتك يا خالتي

العزيزة، قد دعوناه كثيراً هذا الأسبوع، ولكن من فضلك، لا تقلقي من أجلي، وسوف أتذكر دائماً أن أكون متعقلة، والآن أتمنى أن تكوني راضية.

بعد هذا الحوار، سرعان ما سافر آل جاردينر عائدون إلى لندن، مصطحبون معهم "جاين".

واستمرت الخطط لزواج شارلوت "لوكاس" والسيد كولينز، وقد تم تحديد يوم الزفاف.

في اليوم السابق للزواج، جاءت شارلوت لزيارة "إليزابيث"، وعندما همّت بالمغادرة قالت لها:

- هل تعدينني بزيارتي في هانزفورد؟ إن أبي وأختي سوف يأتيان للإقامة معنا في شهر مارس وآمل أن توافقي على أن تأتي وتقيمين معنا خلال هذا الوقت.

ولم تستطع "إليزابيث" أن ترفض، رغم أن أملها ضعيف في قدر كبير من السعادة خلال هذه الزيارة.

وتم الزفاف، وسافر السيد كولينز وزوجته في رحلة إلى "كنت"، وسرعان ما تلقت "إليزابيث" رسالة من صديقتها، تتحدث فيها عن حياتها فيهانزفوردكانت تبدو راضية جداً، وكتبت بسعادة عن المنزل، والأثاث، والحديقة، والحي.

كانت السيدة "كاثرين" دي بورج قد استقبلتها بمنتهى اللطف، والتهذيب في روزنجز بارك. وعلمت "إليزابيث" أنها سوف ترى الباقي بنفسها، عندما

تذهب للإقامة مع السيدة كولينز في شهر مارس.

وصلت رسائل أيضاً من لندن أرسلتها "جاين"، ومرت الأسابيع، وكان من الواضح أنها قد تنازلت عن أيّ أمل لأن ترى السيد "بينجلي" أو حتى أخواته اللاتي كن هن صديقاتها المخلصات في قاعة نيذرفيلد.

وبدأت "إليزابيث" تعتقد أن السيد "بينجلي" سوف يقرر أن يتزوج أخت السيد "دارسي"، لأنه طبقاً للسيد ويكهام، سوف يعيش لكي يندم من قلبه على السعادة التي وجدها مع "جاين". لقد قال السيد ويكهام، أن الآنسة "دارسي" لم تكن هي النوع من الفتيات اللاتي من المحتمل أن تسعدن الرجل.

كانت جاذبية السيد ويكهام للآنسة "إليزابيث" نفسها تتجه على نهايتها أيضاً.

فقد كان يهتم بفتاة أخرى تتمتع بدخل كبير في مستقبلها، وقد تأكدت "إليزابيث" أنه لم يكن يوماً يهتم بها لأنها لم تكن لديها السحر الهام بالنسبة له بأن تكون غنية، وكانت أختها "ليديا" و"كاثرين" محبطتين أكثر منها لعدم رؤيته كثيراً، ولكنهما كانتا أصغر سناً ومعرفة بعادات العالم، ولم تعرفن بعد أن الرجال الأكثر أناقة ووسامة يحتاجون المال من أجل الحياة، والمعيشة، أكثر مما يحتاج الرجل العادي.

ومرت أسابيع الشتاء، وجاء موعد زيارة "إليزابيث" إلى شارلوت، في هانزفورد.

كانت الآن تتطلع إلى رؤية شارلوت مجدداً كنوع من التغيير في "لونغ بورن وسوف تمنحها الرحلة أيضاً الفرصة لأن ترى "جاين"، لمرورهم من خلال لندن، وهي الأفكار التي أسعدتها كثيراً.

غادرت "إليزابيث" مبكرة مع السير ولي ام "لوكاس "، وأخت شارلوت، ووصلت إلى منزل آل جاردينر في لندن في منتصف النهار. كانت"جاين" تراقب وصولهم من خلال النافذة، وقد حيتهم كل العائلة بسعادة فور رؤيتهم.

وفي المساء كان لدى "إليزابيث" الفرصة لكي تتحدث إلى خالتها على انفراد عن "جاين"، وكانت قلقة لسماع أنه رغم محاولة "جاين" الجادة لأن تبدو بشوشة، كانت في الغالب هادئة ومحبطة. كانت السيدة جاردينرتأمل أن تنسى "جاين " بالتدريج عدم سعادتها وتتمتع مجدداً بالحياة.

قدّمت السيدة جاردينر دعوة إلى "إليزابيث" لكي تذهب معها ومع زوجها في رحلة كانوا يخططون لها منذ الصيف، على الأرجح إلى البحيرات.

كانت "إليزابيث" سعيدة جداً بالموافقة على هذا العرض فوراً. ولذلك فقد كانت في حالة نفسية سارة، حتى أنها أكملت رحلتها إلى هانزفورد مع السير ولِيم وابنته في اليوم التالي.

ساروا بالعربة على طول أسوار روزنجز بارك، لمسافة طويلة، قبل أن يصلوا أخيراً إلى منزل السيد كولينز حيث كانت شارلوت وزوجها ينتظران عند الباب.

واستقبلاهم بترحيب شديد، وجعلاهم يشاهدون كل نواحي المنزل، والحديقة، وهما يصفون لهم كل شيء شاهدوه، بالتفصيل. لم يجعله الزواج يتغير على الإطلاق. فقد كان مضجر وممل وبطيء ولديه الكثير لكي يقوله كما كان في منزل "لونغ"بورن. وقد رأت "إليزابيث"أن شارلوتتوليه القليل جداً من الاهتمام به، وبدت بشوشة على نحو مدهشبعد عدة شهور مع زوج مثل هذا. فقد استطاعتأن

تعرف أن شارلوت كانت حقاً مرتاحة في هذا المكان، وأنها استمتعت لوجودها هناك حيث استطاعت أن تنسى كل شيء عن السيد كولينز، فقد افترضت "إليزابيث"أن شارلوت غالباً هي التي دبرت لهذا الأمر كلهعلى نحو جيد جداًفي حقيقة الأمر.

في منتصف النهار تقريباً من اليوم التالي، عندما كانت في غرفتها تستعد للذهاب في نزهة، كان هناك ضجة مفاجئة في الطابق السفلي لحالة شديدة من الهياج والانفعال، ولذلك فقد أسرعت "إليزابيث" ونزلت لكي تستكشف السبب وراء هذا الضجيج، وتعرف ماذا يحدث هناك؛ فوجدت هناك عربة منخفضة السقف تقف أمام بوابة الحديقة وبها اثنتان من السيدات، كانت إحداهما فتاة نحيفة صغيرة كانت تبدو مريضة، وفي حالة نفسية سيئة، ومزاج سيء، وكانت هذه الفتاة هي ابنة السيدة "كاثرين" دي بورج، الآنسة بورج، التي قررت السيدة "كاثرين" ذات يوم أن تجعلها زوجة ابن أخيها، السيد "دارسي"، وكانت "إليزابيث" مسرورة أن تعتقد أنه سوف يكون لديه زوجة مثل هذه الفتاة.فهي تبدو مناسبة له تماماً، شاحبة وعكرة المزاج.

يبدو أن الآنسة دي بورج قد توقفت هناك لكي تقّدم دعوة للسيد والسيدة كولينز وضيوفهما للغداء في روزنجز في اليوم التالي، وكان السيد كولينز مسروراً للغاية لدعوته من قِبَل السيدة العظيمة "كاثرين" بهذه السرعة، ولم يتحدث حول أيّ موضوع خلاف هذه الدعوة بقية اليوم، متمنياً أن يتأكد أن "إليزابيث " قد

أدركت كم كانت سوف تكون سعيدة أن يتم دعوتها إلى منزل شخص بهذه الأهمية. كان يريدهم جميعاً أن يكونون مستعدون للغاية لهذه الزيارة.

كان الطقس صحواً في اليوم التالي، وهو ما جعلهم يسيرون مترجّلين خلال حديقة المنزل الكبير؛ وتحدّث السيد كولينز طوال الوقت حتى وصلوا؛ وحتى بعد أن بلغوا المنزل، وظل يتحدّث ويشير إلى التصميم الرائع للمبنى إلى أن دخلوا الغرفة حيث كانت السيدة "كاثرين" وابنتها ينتظران لاستقبالهم.

كانت السيدة "كاثرين" طويلة القامة، وامرأة ضخمة تتمتع بوجه قوي، يبدو أنه كان جميلاً يوما ما، في شبابها، ولم تدعهم يشكّون، على أيّ حال، أنها جعلتهم يشعرون بأنهم يتمتعون بالأهمية التي تتمتع هي بها، وأنهم ليسوا أقل شأناً منها، وأنفقت وقتاً طويلاً تنصحهم كيف يمكنهم أن يتابعوا حياتهم، ولم يكن هناك شيئاً مختفياً وراء هذه النصائح، ولا وراء اهتمامها بهم.

وكانت "إليزابيث" تفكر أنها يمكنها أن تدرك جيداً الكثير من التفاخر الذي يبديه السيد "دارسي" بعمته.

كان الغداء جيداً، مع ذلك، ورتبت "إليزابيث" أمورها على أن تجيب على كل استفسارات السيدة "كاثرين" بخصوصها بشكل مهذّب وبالقدر الكافي من الصبر، وفي النهاية كان سائق العربة قد تلقى الأوامر بأن ينقلهم جميعاً إلى منازلهم، وقد غادروا بعد خطبة طويلة من الشكر والعرفان للسيدة "كاثرين" من السيد كولينز.

وهكذا انتهت أول زيارة إلى حديقة روزنجز.

مكث السير وليام في هانزفورد لمدة أسبوع واحد فقط، وبعد ذلك ترك حياتهم هناك مستقرة على روتين يومي سعيد، وهو ما كانت"إليزابيث" شاكرة له، لأنهم لم يضطروا إلى قضاء وقتاً أكثر مع السيد كولينز.

فقد كان في الغالب مشغولاً بالقراءة أو الكتابة أو حتى العمل في الحديقة.

أيام قليلة جداً مرت لم يذهب إلا بعدها إلى روزينجز لزيارة السيدة "كاثرين " وغالباً ما كانت شارلوت تذهب معه.

وذهبت "إليزابيث" بمفردها إلى حديقة روزنجز تستكشف الممرات الهادئة التي لا يعرفها أو يستخدمها أحد غيرها.

ومن وقت لآخر كانت السيدة "كاثرين" تأتي لزيارتهم في منزلهم حيث كانت تقضي وقتها في مشاهدة ما كانوا يفعلونه أيّاً كان، وتقدّم لهم النصائح كيف عليهم أن يفعلوا ما يفعلونه بطريقة مختلفة. ذهبوا للغداء معها في البيت الكبير مرتين أسبوعياً.

*****

الفصل العشرون

أول أسبوعان بعد زيارة هانزفورد مرت بهذا الشكل من الهدوء، وعندما وصلت الأخبار أن السيدة "كاثرين" كانت تتوقع زيارة من قِبَل ابن أخيها، السيد "دارسي" وصديقه الكولونيل فيتزوليم، ورغم أن "إليزابيث " لم تكن تحب السيد "دارسي" فقد كان وصوله يغير من الدائرة الاجتماعية الصغيرة لزياراتهم إلى روزنجز وسلوكياتهم مع عمته ومع الآنسة دي بورج سوف يمنحها شيئاً جديداً لملاحظته والاستمتاع به.

وسرعان ما وصلتهم أخبار وصوله وفي صباح اليوم التالي سارع السيد كولينز إلى روزنجز لكي يقدّم احتراماته له. كانت "إليزابيث" مندهشةجداً عندما عاد السيد كولينز بصحبة السيد "دارسي" وصديقه، وقد كان كلاهما يتمنى أن يُقدّم احتراماته للسيدات. كان السيد "دارسي" يبدو تماماً كما كان في قاعة نيذرفيلد، وقد حيّا شارلوت و"إليزابيث" بطريقة مهذّبة، أما الأخيرة فقد أومأت برأسها له بدون كلمة واحدة. وتحدث الكولونيل فيدزوليم بسرور مع شارلوت وزوجها، ولكن السيد "دارسي" جلس لبعض الوقت صامتاً دون أن ينبت ببنت شفة، ويبدو عليه عدم الراحة، وفي النهاية، على أيّ حال، دفع نفسه دفعاً لأن يسأل الآنسة "إليزابيث" بأدب عن عائلتها، وكانت قادرة على أن تخبره بأن "جاين" كانت في لندن، لمدة الثلاثة شهور الأخيرة.. قائلة ببراءة:

- إنني أتساءل إذا كنتَ قد رأيتها هنا في أيّ وقت؟

وقبل أن تسأله كانت تعلم تماماً أنه لم يكن قد رآها، إلا أنها سألته لكي تعرف إذا كان رد فعله سوف يعكس لها أنه يشعر بالذنب لأنه قام بالتفريق بين صديقه، السيد "بينجلي"، وبين أختها "جاين".

كانت ترى أنه إلى حد ما يشعر بالإرتباك عندما أجابها بأنه لم يسعده الحظ برؤيتها ولم يتم تغيير الموضوع إلى موضوع آخر قبل أن يذهب الرجلان المهذّبان بعد ذلك بقليل.

وبعد بضعة أيام من هذا المشهد وقبل أن يتسلموا دعوتهم التالية للغداء في روزنجز، تمت الموافقة على الدعوة، بالطبع، وانضموا إلى الصحبة في غرفة المعيشة الخاصة بالسيدة "كاثرين" في المساء التالي.

بينما كانت "إليزابيث" جالسة تتحدث مع الكولونيل فيتزوليم، تستمتع جداً بحديثه السارّ وسلوكه الرقيق، كان يُمكنها أن ترصد عيني السيد "دارسي" تنظرانإليها مرات ومرات. وبعد الغداء عندما أقنعها العقيد بأن تعزف البيانو لهم جميعاً، جاء إليها السيد "دارسي" ووقف بالقرب منها في موقع يُمكّنه من مراقبة وجهها وهي تعزف.

توقفت "إليزابيث" عن العزف، ومع ابتسامة ناعمة سألته:

- هل ترغب في إخافتي يا سيد "دارسي"؛ بأن تقف باهتمام بمثل هذه الطريقة لكي تستمع لعزفي؟ إنني لا يمكن إخافتي بمثل هذه السهولة، وأنت تعرف، ورغم ذلك فأنا أسمع أختك الآنسة "دارسي"، إنها هي نفسها تعزف جيداً.

- إنني لا أفكر في إخافتك يا آنسة "بينيت"، وأنا أعرفك منذ فترة طويلة تكفي لأن أعرف أنكِ تستمتعين بالمزاح مع الناس الآخرين بمثل هذه الطريقة.

وضحكت "إليزابيث" لهذه الصورة التي رسمها لها عن نفسها، وبدأت تعزف لحناً آخر.

في الصباح التالي كانت "إليزابيث" تجلس بمفردها؛ تكتب رسالة إلى "جاين" بينما كانت شارلوت في القرية، حين سمعت رنين جرس الباب، كان هناك زائر، رغم أنها لم تسمع صوت أيّ عربة، فتحت الباب، وكانت دهشتها كبيرة، فقد كان الزائر هو السيد "دارسي"، وقد جاء بمفرده، ومن الغريب أنه كان هو أيضاً مندهشاً بعد أن عرف أنها بمفرها، وسرعان ما قدّم اعتذاره، قائلاً أنه كان يتوقع وجود السيدة كولينز في المنزل.

وجلس كلاهما، وبعد تقديم بعض الملاحظات المهذّبة الرقيقة بدا أنهما في خطر الانزلاق في صمت مطبق. إلا أنها راحت تفكر في شيء تقوله حتى تكسر حالة الصمت، فقالت:

- كيف لكم أن تغادروا نيذرفيلد جميعاً هكذا فجأة في نوفمبر الماضي؛ يا سيد "دارسي"، من المؤكد أنهاكانت مفاجأة سارة جداً أن يراكم السيد "بينجلي" جميعاً في لندن، هكذا سريعاً بعد أن تركككم في نيذرفيلد وأعتقد أنني سمعتُ أن السيد "بينجلي" لا ينتوي العودة إلى نيذرفيلد في الوقت الحالي. فهل هذه الأخبار حقيقية؟

فأجابها السيد "دارسي":

- لن أكون متفاجئاً إذا كان قد تخلّى عن المكان.

واكتفى بأن قال ذلك، وبدا كأنه لم يكن لديه ما يقوله حول هذا الأمر.

وفي هذه اللحظة وصلت شارلوت وبسرعة غادر السيد "دارسي" بعد أن شرح خطأه بخصوص اعتقاده أن شارلوت سوف تكون في البيت، وراحت الأخيرة تندهش لماذا جاء السيد "دارسي" لزيارتهم من الأساس، ولكن عندما أخبرتها "إليزابيث" كيف كانت المحادثة بينهما صعبة كان رأيها أنه لم يكن من المحتمل أن هذا سببه هو عدم جاذبية "إليزابيث". وقررتا في النهاية أن ما حدث كان بسبب أنه لم يكن لديه ما يفعله أفضل مما فعل، وكان عليه أن يخرج من البيت الرئيسي في روزنجز، بعيداً عن السيدة "كاثرين" ولو لبعض الوقت.

تكررت الزيارةعلى أيّ حال، والتي كان من الصعب جداً فهم دوافعها، فلم يكن الأمر من أجل البهجة أو السرور في مجتمعهم، حيث أنه في بعض الأحيان كان يجلس هناك فقط لعشر دقائق أو ربما أكثر بدون أن يهمس ببنت شفة، وعندما كان يتكلم كان يبدو عليه خارج اللياقة والتهذيب، لا، ليس بسبب الإبتهاج، وبدأت شارلوت تتساءل عما إذا كان يحب صديقتها، وراحت تراقبه عن كثب، كلما كانا معاً في روزنجز وكلما جاء هو إلى هانزفورد، ولكنها لم تنجح في هذا كثيراً، فهو غالباً ما كان ينظر إلى "إليزابيث" نظرات جادّة، ومتعقّلة، وأيضاً يبدو أن وجهه يخلو من ملامح الإعجاب بها، وفي بعض الأحيان يبدو أنه غارقاً في التفكير العميق. وكانت "إليزابيث" تكتفي بالضحك من فكرة أن

السيد "دارسي" قد يكون يحبها عندما كانت شارلوت تقترح هذه الفكرة، ولكن الأخيرة كانت تعتقد أن كل تعصّب صديقتهاضده سوف يختفي إذا علمت بدون شك أن مثل هذا الرجل الغني والوسيم والهام كان تحت سيطرتها.

أكثر من مرة عندما كانت "إليزابيث" تخرج في نزهة في الحديقة، و كانت تقابله بطريقة غير متوقّعة، حيث لا يبدو أن أحداً آخر يمكن أن يسير هناك ولكنها كانت قد اعتادت أن تسير في هذا المكان بمفردها بصورة متكررة.

يا له من شيء غريب أن يتكرر هذا الشيء نفسه مرة ثم ثانية، ثم ثالثة، خاصة وأنه لم يبذل أيّ جهد لأن يقول لها شيئاً أبداً عندما يلتقيان!

ذات يوم، وبدلاً من أن تقابل السيد "دارسي"، قابلت العقيد فيتزوليم، يسير في الحديقة، وقاما بتبادلالحديث حول السيد "دارسي" وأخته.وكانت "إليزابيث" مندهشة للدفء والاحترام الذي تكلم به العقيد عن شخصية صديقه الأمينة وإحساسه القوي وإخلاصه لأسرته ولأصدقائه.

ولكن من الأشياء الأخرى التي تحدّث عنها العقيد وقد أصبح من الواضح أن السيد "دارسي" مسؤول بصفة مباشرة عن إقناع صديقه السيد "بينجلي " أن يترك نيذرفيلد وينسى أمر حبه للآنسة "جاين"، منذ أن صدّق أنها ليست مناسبة لصديقه. ولقد شعرت "إليزابيث" بالغضب الشديد عندما سمعت ذلك وأن السيد "دارسي" هو الذي تسبب لأختها الحبيبة كل هذا الألم الفظيع وأنها كانت غير قادرةلمواجهة فكرة رؤيته عندما ذهب الآخرون لتناول الشاي في روزنجز في

بعد ظهر ذاك اليوم. ولقد أصابها الصداع ومكثت في بيتها بدلاً من الذهاب معهم.

كانت تعيد قراءة بعض رسائل "جاين" التي أرسلتها إليها من لندن، عندما سمعت فجأة جرس الباب يرن، وتساءلت ما إذا كان الكولونيل فيتزوليم، جاء لكي يسأل عن صحتها، وكم كان زهولها عندما وجدت السيد "دارسي" هو الذي يدخل الغرفة. وسأل عن صحتها، وأجابته بطريقة فاترة ومهذّبة، غير راغبة في الحديث معه على الإطلاق. جلس للحظة ثم نهض واقفاً فجأة وبدأ يمشي في أرجاء الغرفة، دون أن يقول شيئاً. كانت"إليزابيث" مندهشة متفاجئة؛ ولم تنبت ببنت شفة؛ وأيضاً في حركة مفاجئة استدار تجاهها قائلاً:

لقد ناضلتُ مع نفسي، دون جدوى، إنني لا أستطيع مقاومة قوة مشاعري؛ من فضلك يا "إليزابيث"؛ اسمحي لي أن أخبرك كم أنا معجب بكِ؛ كم أنا أحبكِ كانت "إليزابيث" صامتة، فقط كانت تحملق في عينيه في دهشة مما سمعت، وكست الحمرة وجهها، واستمر في كلامه يخبرها بكل مشاعره التي يشعر بها تجاهها، منذ زمن بعيد، كما أخبرها أيضاً بمخاوفه من الزواج بفتاة تنتمي لأسرة أقل كثيراً من مستواه الاجتماعي. وبالرغم من كراهيتها العميقة له، فقد كانت مسرورة أن رجل مثل السيد "دارسي" يشعر بأنه يحبها ولكنها في نفس الوقت تشعر بالغضب لسماعها طريقة التفكير المتفاخرة والمتكبرة التي ينظر بها إلى عائلتها وإلى وضعها الاجتماعي، الذي يقلقه إلى هذا الحد!. ولدقائق قليلة لم تكن تعرف بماذا تجيبه، رغم أنها بعد ذلك استطاعت ببساطة أن تعرف أنه يتوقع منها

أن توافق فوراً على عرضه للزواج منها. انتظرت حتى توقف عن حديثه، ثم أجابته قائلة:

- يجب عليَّ، فيما أعتقد، أن أشكرك على عرضك الذي قدّمته لي، ولكنني لا أستطيع. فأنا لم أكن أرغب أبداً في أن يكون لك وجهة نظر إيجابية تجاهي، ويبدو أنك بالتأكيد غير راغب حقيقة في أن يكون لك هذا الرأي الجيد عنّي، وأناأعتذر لك أنني كنت السبب في هذا الألم، ولكنني يحدوني الأمل في ألا يستمر هذا الألم طويلاً.

نظر إليها السيد "دارسي" منزعج ومندهش في نفس الوقت لإجابتها. وتحوّل لون وجهه إلى الشحوب، ولكنه لم يحاول مقاطعتها، بينما راحت هي تستطرد:

- وأيضاً عليّ أن أسألك لماذا أزعجت نفسك وأخبرتني أنه ضد إرادتك ومنطقك وشخصيتك، أن تحبني أو تعجب بي، رغم الوضع البسيط اجتماعياً لأسرتي، هل ربما لكي تهينني؟، ولكن لي أسباب أخرى، تجعلني لا يمكن أبداً أن أقبل عرضك، وأنت عرف ذلك.ماذا يمكن أن يكون هناك من إغراء لي لكي أوافق على رجل حطم سعادة أختي الحبيبة، ربما إلى الأبد ؟، إنك لا تستطيع أن تنكر أنه كان أنت من فصلهما عن بعضهما.

وبدا أن السيد "دارسي" لا يحمل أي شعور بالذنب وهو يجيب:

- أنا لا أنكر أنني قد بذلتُ أقصى ما في وسعي لكي أفصل بين صديقي وبين أختك.
- ومع ذلكلم يكن هذا هو فقط ما جعلني لا أحبك، فقد سمعتُ عن سلوكك غير العادل نحو السيد ويكهام قبل ذلك بكثير، وقمت بالتقليل من شأنه إلى هذا الوضع البائس الحالي، بأن منعت عنه الأموال التي رغب والدك بنفسه أن تُعطى له، وحرمته من أجمل سنوات عمره، ماذا يمكنك أن تقول بخصوص هذا أيضاً؟ هل يمكنك أن تدّعي أن سلوكك هذا للسيد ويكهام هو عمل من أجل الصداقة أيضاً؟
- هذه إذن هي وجهة نظرك عنّي! أشكرك على توضيحها بهذه التفصيلات الكاملة.إن أخطائي كثيرة، بناء على هذا الحكم عليّ! ربما لم تكُني أنتِ هكذا قاسية الأحكام عليّ إذا لم أكن أنا بهذه الأمانة والصدق معك بخصوص قلقي حول أوضاع عائلتك الاجتماعية، وإذا كنتُ أنا قد حاولتُ أن أخفي عنكِ صراعي حول كل هذا؟ولكنني أكره التظاهر كما أنني لستُ خجلاً من مشاعري. هل يمكنك أن تتوقعي أن أكون سعيداً بخصوص علاقاتك، التي لا ترقى إلى مستوى علاقاتي الاجتماعية ؟
- أنتَ مخطىء، يا سيد "دارسي"، إذا كنتَ تعتقد أن الكبرياء وحده والطريقة التي تخلو من نُبل الرجال المهذّبين والتي قدّمت عرضك لي بها هي التي جعلتني أرفض هذا العرض. إن أيّ عرض منك للزواج بك

لن يغريني أبداً بقبوله.كانت دهشته واضحة، فقد راح ينظر إليها وعلى وجهه تعبيرات تشي بالخجل وعدم تصديق ما يحدث.قال لها في اندهاش تام :

- لقد قلتِها فيه الكفاية يا آنسة "بينيت "، وأنا أتفهّم مشاعركِ جيداً وبوضوح، ولا يسعني إلا أن أخجل من مشاعري القوية تجاهكِ. أرجوكِ، اغفري لي أن أخذت من وقتك الكثير، وتقبّلي مِنّي أفضل الأمنيات بالمستقبل السعيد.بهذه الكلمات غادر السيد"دارسي" الغرفة بسرعة. وسمعت "إليزابيث" الباب الأمامي يُغلق، بعد أن غادر المنزل. كانت وحيدة مع هذه العاصفة من المشاعر والأفكار التي اجتاحتها، وكانت غير قادرة على أن تستوعب ما حدث للتوّ. لقد قدّم لها السيد "دارسي" للتوّ عرضاً للزواج منها، وأخبرها أنه يحبها بقوة منذ عدة شهور، ولكن كبرياؤه، كبرياؤه الفظيع، والطريقة التي اعترف بها بصراحة عما فعل بخصوص "جاين"، وأيضاً اعترافه الصريح بما فعل مع السيد ويكهام، والتي لم يحاول حتى أن ينكرها.كل هذه الأشياء سرعان ما جعلت "إليزابيث" تشعر بعدم الندم على الطريقة التي رفضت بها عرضه للزواج. وعدم الندم على الطريقة التي أخبرته بها برأيها فيه بوضوح.عندما سمعت صوت العربة تحمل القادمين من حديقة روزنجز، غادرت بسرعة إلى غرفتها، غير قادرة على مواجهة أسئلة واستفسارات شارلوت حول كيف قضت فترة بعد الظهر

الفصل الحادي والعشرون

نفس التشوش في المشاعر والأفكار حدثت ل"إليزابيث" عندما خرجت للنزهة في صباح اليوم التالي. كان الربيع يطل على الأبواب، وبدأت الأشجار تكتسي باللون الأخضر الزاهي. مما جعل الحديقة تبدو في حُلّة جميلة جديدة يوماً بعد يوم.بعد أن بدأت تمشي؛ رأت رجلاً مُهذّباً قادماً نحوها، وكانت تخشى أن يكون هذا الرجل ليس إلا السيد "دارسي"؛ عادت أدراجها مباشرة إلى الخلف؛ ورآها الرجل القادم تستدير عائدة في طريقها، فناداها باسمها، وصدقت مخاوفها فقد كان الرجل هو فعلاً السيد "دارسي". وتوقف في الممر في مواجهتها، وقدّم إليها رسالة، أخذتها بدون تفكير أو تردد. قال لها بصوت هادىء :

- كنتُ أتمنّى أن أقابلكِ في الحديقة، وسوف أكون شاكراً لكِ إذا أبديتِ موافقتكِ على قراءة هذه الرسالة.

ثم استدار وعاد من خلال الحديقة.وفضّت "إليزابيث" الرسالة.كانت قد تم كتابتها في الساعة الثامنة من صباح ذاك اليوم، وهذا هو ما جاء بها : "أرجو أن تعذريني، يا آنسة "بينيت"، لشعوري بأن سلوكي السابق في حاجة إلى شرح وتوضيح من أجلك. فأنتِ، كما أشعر، كوّنتي انطباعاً غير دقيق عني، واتهمتيني بطريقة غير عادلة بالقسوة نحو أختك ونحو السيد ويكهام والقصتين مختلفتين تماماً.ومثل الآخرون، كنتُ قادراً على إدراك إعجاب السيد "بينجلي" بأختك،

وأدركتُ بالتدريج كم كانت قوية وجادة مشاعره. ولكن كما لاحظتُ جاذبية أختك، وصراحتها، وسلوكها المبتهج، كنتُ قادراً أن أرى أنه لا يوجد إشارةمن أختك تفيد بأن لديها أيّ مشاعر خاصة، تجاه صديقي، وكنتُ مخطئاً تماماً بخصوص وجهة نظري هذه، لأن معلوماتك عن أختك لا يمكن أن تكون خطأ، وأنا آسفاً بحق أنني تسببتُ في ألمها. وكان غضبك منّي له أسبابه المنطقية، وبخصوص نصيحتي لصديقي بألا يقدّم عرضاً لأختك للزواج بها، وأن يترك نيذرفيلد وأن يحاول أن ينساها، كان كل ذلك سببه هو أن أجنّبه الجراح والأذى، رغم أنّني أخبرتك الليلة الماضية، أنّني كنتُ قلقاً من أن يتزوج من فتاة تنتمي لعائلة أقل من عائلته في الأهمية الاجتماعية، وأنا جدّ آسف إذا كان في هذا إهانة لكِ. السيد "بينجلي" نفسه هو شخص خجول، ومتواضع، لدرجة أنه لم يكن راغباً في فرض انتباهه على فتاة صغيرة والتي، بناء على وجهة نظري، لم تكن متكافئة معه في الحب بقدر حبه لها، وهو يقدّر حكمي عليه، وهو فعلاً يصدّقني، وقد قرر أن يتخلّى عن كل آماله أن يكون محبوباً من أختك وألا يعود إلى نيذرفيلد، ويجب أن أعترف لكِ أنّني لم أخبره أبداً أن أختك في لندن، خلال الثلاثة شهور الماضية، بل أنّني قمتُ بإخفاء هذه الحقيقة عنه، فقط لأنّني كنتُ خائفاً من أن يكون لا زال يحب أختك جداً، وبمجرد أن يراها مرة أخرى، سوف يؤذيه، وليس لديّ ما أرغب في توضيحه أكثر من ذلك، وليس لديّ شيء آخر أعتذر عنه، أكثر من الخطأ في الحكم. أنت تعلمين الآن حقيقة كل شيء.

أما بخصوص موضوع السيد ويكهام، فهناك قصة مختلفة تماماً، عن تلك التي أخبرتيني بها.

كان أبي دائماً مغرماً بـ ويكهام، الذي كان ابناً للموظف المفضّل لديه في

بيمبرلي، في منزل العائلة، في ديربيشاير. قبل أن يموت، طلب أبي منّي أن أعطي بعض المال إلى ويكهام وأن أحاول أن أجد لهوظيفة جيدة ربما في كنيسة، مثلاً، ولكن عندما مات أبيكان ويكهام بعيداً، ولم أسمع عنه شيئاً لمدة عامين أو ثلاثة أعوام. وبدأ يحيا حياة مشينة، وغرق في الديون وفشل في محالاته أن يصبح محامياً. وأنا بالتأكيد لم أستطع أن أمدّ له يدَ العون بالأموال كما كان أبي يرغب. ومنذ عام مضى، بدأ يوجه اهتمامه سرّاً إلى أختي الصغيرة، جورجيانا، فتاة عاطفية تماماً، أصغر منّي بعشرة أعوام، قد يكون ويكهام رجلاً ساحراً، أنا أدرك ذلك، وسرعان ما اعتقدت جورجيانا، التي كانت في الخامسة عشر ة من عمرها فقط، أنها تحبه. وراح ويكهام سرّاً يخطط لأن يقنع جورجيانا للهروب معه والزواج به، ولكن أختي كانت تخاف من أن تزعج أخاها الذي كان يعتني بها بكل الوسائل، وبشتّى الطرق. ولذلك فقد أخبرتني بكل تفاصيل هذه الخطة. كان هدف ويكهام، ويبدو ذلك واضحاً، أن يضع يده على ثروة أختي، ودخلها السنوي الكبير. وكادانتقامه منّي – بسبب أنّني لم أساعده في الدخول إلى الكنيسة بوظيفة جيدة –أن يكتمل.وقد أخبرتُ ويكهام أنّني قد اكتشفتُ خطته، فترك المكان الذي كان به فوراً ولم أخبر أحداً بأيّ شيء عن سلوكه، حتى ذاك الصباح في ميريتون، معك وقد أخبرتكِ الآن بالقصة كاملة عن علاقاته بي لكي يمكنك أن

تحكمي بنفسك بالعدل ما إذا كانت سلوكياتي معه عادلة أم لا. فقد كان واضحاً لي أن ويكهام لم يخبركِ من قبل بالقصة الحقيقية كاملة. وإذا كانت كراهيتكِ لي تجعلك لا تصدّقين ما كتبته لكِ هنا بخصوص ويكهام، فلربما كنتِ تودّين التأكّد من الكولونيل فيتزوليمعن هذا الأمر، حيث أنه هو الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف حقيقة هذه القصة.

وليس من الصعب إدراك مشاعر "إليزابيث" بعد قراءة هذه الرسالة.في البداية، كانت مندهشة أن السيد "دارسي"اعتذر عن تدخله في موضوع صداقة السيد "بينجلي" مع أختها "جاين"، وأيضاً اعتذر بسبب أحكامه الغير عادلة، رغم أنها شعرت بتعبيره عنها في الرسالة لا زالت لا تخلو من الكبرياء، وأيضاً انتقاده لعائلتها لا يزال يجعلها غاضبة.

ولكن عندما قرأتما قاله عن ويكهام، في هذا الجانب من القصة، بدأت تشعر بالذنب والخجل من حكمها القاسي عليه. لم تكن ترغب في أن تصدّق ما قرأته وتركت الرسالة بعيداً. ولكن في خلال نصف دقيقة فضّتها مرة أخرى لكي تقرأها مجدداً، وبدأت تدرك أن سلوك السيد "دارسي" يُمكن أن يكون لا غبار عليه على الإطلاق، ولا يمكن توجيه أيّ لوم له، وأن السيد ويكهام ليس هو الرجل الذي تعتقد أنها تعرفه.كم كان الإختلاف كبيراً بين سلوك ويكهام كما كانت تراه أو تعتقده، وبين سلوكه كما جاء في الرسالة. وأعادت القراءة، أيضاً، الجزء الأول من الرسالة، والخاص بالسيد "بينجلي" و"جاين"، وبدأت تعترف أنه ربما لم تكن "جاين" قد أفصحت جيداً عن حبها ومشاعرها تجاه السيد

"بينجلي"، ولم توضّحها له بالقدر الكافي، ولم تريه حبها له بالقدر الكافي. وعندما قرأت مرة أخرى الجزء الخاص بعائلتها تحول غضبها إلى خجل، واضطرت لأن تعترف أن سلوك أمها وأخواتها الصغار لم يكن سلوكاً مقبولاً على الإطلاق، حتى أنها هي نفسها غالباً ما كانت تراه مُحرِجاً.تجولت "إليزابيث " في الحديقة لمدة ساعتين، تفكر في ما جاء بالرسالة، تصارع أفكارها، تعيد النظر في تقييم كل شيء كان قد حدث وقيل لها عنه في محاولة لقبول التغييرات التي حدثت في وجهة نظرها بخصوص السيد "دارسي".وفي النهاية عادت إلى البيت، وأخبروها أن السيد "دارسي" والكولونيل فيتزوليم قد اتصلا لتوديعها. فقد قررا العودة إلى لندن في الصباح الباكر ليوم الغد ..وخلال الأيام القليلة الباقية قبل عودة "إليزابيث" نفسها إلى لندن ومن ثم إلى "لونغ "بورن، قرأت رسالة السيد "دارسي" مرات ومرات، درست كل جملة، بكل العناية، لدرجة أنها تقريباً حفظتها كلمة كلمة.وتحول غضبها على السيد "دارسي" إلى غضب على نفسها، وبدأت تشعر بالأسف على الطريقة التي تصرفت بها بغير إنصاف له، بالرغم من أنها لازالت تشعر بعدم الندم على أنها رفضت عرضه للزواج. توضيحات السيد "دارسي" بخصوص سلوك السيد "بينجلي " نحو "جاين " أيضاً جعلت "إليزابيث" تفكر جيداً في السيد "بينجلي"، وجعلتها تدرك بألم شديد حجم ما فقدته "جاين"، كانت عواطفه تجاه "جاين"مخلصة، وشكوكه الوحيدة كانت حول نفسه وحول قيمته بالنسبة لها، كم كان فظيعاً أن "جاين" فقدت صداقتها لرجل بهذا التواضع. وإمكانية سعادتها معه، وجزئياً غباء وسوء سلوك أمها

وأخواتها أيضاً ! واستمرت أفكار "إليزابيث" بهذه الطريقة المشوشة حتى اليوم الذي عليها أن تعود فيه إلى لندن. تحدث السيد كولينز في خطبة طويلة، فتحدث مرات ومرات عن علاقاتهم الجيدة مع السيدة "كاثرين " دي بورج، وطلب من "إليزابيث" أن تقدّم تقارير خاصة بحياتهم في هانزفورد إلى عائلتها، وأخيراً دعاها لكي تزورهم مرة أخرى.

إنه مما يثير الرثاء أن تضطر إلى ترك شارلوت في صحبة كهذه وعلى الرغم من أنها بدت حزينة أن ترى "إليزابيث" تغادر، بدت شارلوت سعيدة بما يكفي بمنزلها والحي والجيران.وصلت العربة، وتبادلوا الوداع، وانتهت بسرعة الرحلة إلى منزل آل جاردينر في لندن، وبدت "جاين" في حالة جيدة، وكانت على استعداد للعودة إلى "لونغ "بورن مع "إليزابيث"، وهكذا كان في أوائل شهر مايو " أيار "، انطلقتا من منزل الخالة في لندن، في طريق عودتهما إلى البيت.كانت أمهما وأبوهما وأخواتما الصغار في بهجة أن يرونهما وقد عادتا إلى المنزل مرة أخرى، على أيّ حال، فقد أصبحت "ليديا" الآن في السادسة عشر ة من عمرها، وسوف تذهب قريباً للإقامة مع بعض الصديقات في برايتون، يبدو أنها كانت سوف تذهب مع أحد ضباط الجيش، وهو الكولونيل فورستر، وزوجته التي أصبحت صديقة "ليديا" المقربة، وكان يبدو أن كل الضباط بمن فيهم السيد ويكهام، كانوا سوف ينتقلون للإقامة في برايتون، وكانت "ليديا" سعيدة بأن تتبعهم إلى هناك لمدة بضعة أسابيع.لم تكن "إليزابيث" متأكدة على الإطلاق أنه من الحكمة أن تدع "ليديا"تذهب إلى برايتون، حتى إذا كان ذلك مع أصدقاء أوفياء مثل عائلة

فورستر، وقد قالت ذلك فعلاً لأبيها. وقد شعرت أن "ليديا " قد أساءت إلى اسم عائلتها وكانت في خطر أن ترتكب شيئاً غبياً جداً فعلاً.

قال لها والدها يطمئنها:

- لا تقلقي يا حبيبتي، فأنتِ تعلمين أننا لن نكون في سكينة واستقرار في "لونغ "بورن إذا لم تذهب "ليديا " إلى برايتون، ونحن نعلم أن الكولونييل فورستر رجل عاقل. فدعيها تذهب إذن. إنها سخيفة جداً وأضعف من أن تكون مثيرة للاهتمام بالنسبة إلى أيّ رجل!. وفي برايتون من المحتمل جداً أن يجد الضباط فتيات أكثر إثارة للاهتمام والسرور من "ليديا"، وهو ما سوف يعلمها درساً!.

وكانت "إليزابيث" مضطرة إلى أن تكون راضية ومقتنعة بهذه الإجابة، ولكن رأيها بخصوص الخطر من السماح لأختها "ليديا" بالذهاب إلى برايتون كان كما هو، لم يتغير، وقد أحست بخيبة الأمل، وبات من الواضح أن أباها لن يفعل شيئاً، لكي يغير من السلوك غير المقبول لأخواتها الصغار.وبعد يوم أو يومين في البيت، وجدت "إليزابيث" الفرصة لأن تخبر "جاين" بخصوص عرض السيد "دارسي"، ورفضها لهذا العرض. كانت "جاين" مذهولة، إلا أنها لم تفكر في توجيه اللوم إلى أختها، لرفض هذا العرض، الذي قدّمه السيد "دارسي"، إذا لم تكن تحبه.وقد أخبرت "جاين" أيضاً بخصوص الرسالة، وعن قصة "دارسي" حول السيد ويكهام، رغم أنها كانت حريصة جداً ألا تذكر الجزء من الرسالة

الخاص بالسيد "بينجلي". "جاين" لم تكن تحب أبداً أن تصدّق أيّ شيء سيء عن الآخرين، كما كانت آسفة أن تعتقد أن السيد ويكهام ربما لم يكن هو الرجل المهذّب الذي أرادته أن يكون في عيون الناس.قالت لها "جاين":

- مسكين السيد ويكهام!. إن له سلوك وتصرفات مهذّبة وساحرة. وربما كان نادماً على سلوكياته في الماضي، وأنه قرر أن يحيا بصورة مختلفة وبسلوكيات أفضل في المستقبل. ويجب علينا أن نحتفظ بما نعرفه عنه لأنفسنا، بالطبع.

في اليوم السابق لمغادرة الضباط ميريتون جاءت مجموعةمنهم لتناول الغداء في منزل "لونغ"بورن، ومن ضمنهم السيد ويكهام.وأرادت"إليزابيث" أن تودّعه بطريقة ودّية كصديق، رغم معرفتها عن سلوكياته في الماضي.وعندما علم السيد ويكهام أنها رأت السيد "دارسي" كثيراً في هانزفورد، بدا عليه أنه يشكّ وغير مرتاح بالمرة بخصوص ما قد تكون "إليزابيث" تعرفه عنه، وكان واضحاً أنه يبذل مجهوداً ضخماً لكي يكون بشوشاً وساحراً كالعادة لبقية الأمسية.عادت "ليديا" مع عائلة فورستر، في نهاية الأمسية، وودعت السيدة "بينيت "ابنتها متأثرة، آملة لها أن تستمتع بقدر الإمكان وطلبت منها أن تعدها بأن تكتب لها كثيراً.ليكن الوداع الأهدأ من الأختين الصغيرتين مسموعاً بسبب الضوضاء.

*****

الفصل الثاني والعشرون

عندما ذهب الربيع وحلت محله أيام الصيف،انخفض معه معدل الرسائل الواردة من "ليديا"، وأيضاً لم تعُد رسائل طويلة كالعادة. كان الوقت بالنسبة لرحلة عائلة جاردينر مع "إليزابيث" يقترب سريعاً، وكانت تتطلع إليها بحماس، وعندما جاءت رسالة من السيدة جاردينر تقول فيها أن السيد جاردينر اضطر أن يظل لمدة أطول في لندن لقضاء بعض الأعمال أكثر من المتوقع، فقد اضطروا إلى تغيير خططهم إلى حد ما. لن يكون باستطاعتهم أن يذهبوا في مثل هذه الرحلة الطويلة، أو السفر إلى أبعد من البحيرات، ولكنهم خططوا بدلاً من ذلك أن يقوموا بزيارة ديربيشاير، من حيث جاءت السيدة جاردينر، ولكي يشاهدوا بعض الناس والأماكن التي كانت تعرفها هناك قبل أن تتزوج. كانت "إليزابيث" في البداية محبطة جداً، ولكن لم يكن من طبيعتها أن تنزعج لمدة أطول، وسرعان ما كانت تتطلع لرؤية ديربيشاير بدلاً من ذلك.

وصلت عائلة جاردينر، وقضوا ليلة واحدة في "لونغ "بورن، وانطلقوا مع "إليزابيث" في رحلتهم في صباح اليوم التالي.

بعد زيارة أوكسفورد، أرويك وبيرمينجهام في طريقهم، وصلوا بعد عدة أيام قلائل إلى المدينة الصغيرة في لامبتون، في ديربيشاير. على مسافة أقل من خمسة أميال من لامبتون، كانت "إليزابيث" قد قيل لها أن بيمبرلي هي مسقط رأس السيد "دارسي".

وسألت "إليزابيث" الخالة:

- هل ترغبين في رؤية المكان الذي سمعتي عنه الكثير من السيد ويكهام يا عزيزتي؟ لقد قضى معظم أيام حياته هناك، كما تعلمين. الحديقة جميلة والمنزل نفسه بالغ الروعة.

لم تكن "إليزابيث" سعيدة تماماً بالفكرة، كانت تشعر أنه ليس لديها أعمال في بيمبرلي، والفكرة بخصوص إمكانية مقابلة السيد "دارسي" هناك أقلقتها جداً، كم سوف يكون ذلك مرعباً ! ولكنها سألت مالك الفندق ما إذا كانتالعائلة لا زالت في بيمبرلي حتى الصيف، وعندما أخبرها أنهم لن ينتظروا حتى الصيف، شعرت أنها كانت قادرة على الموافقة على خطة الخالة لزيارة المنزل وتتمشّى في الحديقة هناك. لقد تم الاتفاق إذن أنهم سوف ينتقلون إلى بيمبرلي في اليوم التالي.كان عقل "إليزابيث" مليء بالمحادثات بينما كانوا ذاهبون إلى منزل بيمبرلي، في صباح اليوم التالي، واستداروا عند البوابات إلى الحديقة واتجهوا عبر بعض الغابات الجميلة تجاه المنزل الكبير في الجانب المقابل للوادي.لقد كان بناءً حجرياً كبيراً وجميلاً، مع تلال من الغابات من خلفه؛ وجدول صغير يجري أمامه.كان تصميماً طبيعياً عالي الذوق.كانت سعيدة جداً.في هذه اللحظة شعرت أنها أن تصبح سيدة منزل بيمبرلي فإن هذا قد يكون شيئاً عظيماً!بينما كانوا يرتقون الدرجات إلى الباب الأمامي للمنزل عادت إليها كل مخاوفهامن مقابلة مالك المنزل.كانوا قد دُعوا إلى التجول حول المنزل من قِبَل مدبّرة المنزل، وهي سيدة ذات نظرة محترمة ومسنّة، وسلوكها رغم أنه صريح، فهو مؤدب. بينما كانوا

يتبعونها حول الغرف التي كانت أكثر روعة من تلك التي رأتهم في حديقة روزنجز؛ وظلّت "إليزابيث" تفكّر: "قد أكون سيدة هذا المكان! بهذه الغرف، وقد أكون الآن ألفتها بدلاً من أن أشاهدها كغريبة! "وأرادت "إليزابيث " أن تجد فرصة لكي تسأل مدبّرة المنزل ما إذا كان سيدها غائباً فعلاً، لكن خالها كان هو الذي سأل هذا السؤال أخيراً، وتلقّى الجواب بأنه كان من المتوقع أن يصل إلى هناك مع مجموعة كبيرة من الأصدقاء في اليوم التالي.وتابعت:

- يوجد هنا صورة لسيدي.

وعرضت عليهم صورة زيتية صغيرة جميلة للسيد "دارسي".قالت السيدة جاردينر :

- سمعتُ أنه شخص مهذّب جداً؛ لكن يا "ليزي"، أظن أنكِ يمكنكِ أن تخبرينا عن مدى جودة الصورة ومطابقتها للواقع، كما أظن.

تزايد احترام مدبّرة المنزل لـ "إليزابيث "، حين سمعت بأنها تعرف السيد "دارسي".وسألتها:

- ألا تعتقدينأنه سيد مهذّب جداً؟

ودون أن تنتظر أيّ رد تابعت:

- أنا متأكدة من أنّني لا أعرف أحداً وسيماً إلى هذا الحدّ. أتمنّى أن يتزوج حتى يقضي وقتاً أطول هنا معنا، ولكنني لا أعرف أيّ امرأة ستكون مناسبة له بالقدر الكافي.

ابتسمالسيد والسيدة جاردينر، وتابعت مدبّرة المنزل التي كانت تستمتع على نحو واضح بالحديث حول سيدها :

- أنا لا أقول شيئاً غير الحقيقة، وكل من يعرفه سوف يوافق على هذا الذي أقوله. إنه لم يوجّه أبداً كلمة غاضبة إليّ في حياته، وقد عرفته منذ أن كان طفلاً جيد المزاج وكريم، واستمر في أن يكون كذلك حتى الآن، وقد كبر محتفظاً بهذا السلوك الطيب، ولا يمكنني أن أتمنّىأيّ سيد أفضل وأكثر عدلاًمنه.

وفكرت "إليزابيث" أن هذا الحديث لمدبّرة المنزل إنما يتجاوز الحدود قليلاً، فهذا الإطراء كان عكس كل ما لديها من أفكار عنه، إذ كان لديها رأياً راسخاً بأن السيد "دارسي" لم يكن رجلاً ذا طبيعة حسنة.وفكرت: "هل يمكن أن يكون هذا هو السيد "دارسي" حقاً؟ يا له من انطباع بهيج هذا الذي تصفه به! "وكانت ضجرةمن سماع المزيد من هذا الثناء عليه. بينما كانت مدبرة المنزل على عكسها تماماً، سعيدة بمتابعة الحديث وهي تريهم أنحاء المنزل. وأصغت "إليزابيث " إليها وهي مندهشة ومتشكّكة، وتقبّلت ما تصفه به هذه المرأة المتعقّلة، التي تقول أنها قد عرفته جيداً طوال سنوات عمره، من سخاء مع الفقراء، وعدالته لكل

أولئك الذين عملوا معه، وعنايته الدائمة بأخته الصغرى، وذكائه الهاديء.قالت وهي تريهم غرفة جلوس جميلة وجديدة، الديكورات التي أعدّها السيد "دارسي" من أجل لأخته:

- بعض الناس قد يعتبرونه متكبّراً، لكنني لم أرَ شيئاً من هذا، أظن أنه فقط لا يحب أن يتكلم كثيراً قدر ما يتكلم الفتيان الصغار الآخرون. وهذه الغرفة نموذج عنه، أيضاً، من المؤكّد أن كل ما يمكن أن يُدخِل السرورفي قلب أخته يتحقق في لحظة.لا يوجد شيء لن يفعله من أجلها.

كل شيء قالته مدبّرة المنزل عن السيد"دارسي"، بصفة أخ، أو بصفة سيد، أظهره تحت الضوء الجيد، وراحت "إليزابيث" تفكّر :"أيّ إطراء أكثر قيمة من إطراء خادم كبيرة السن".بعد أن فرغوا من مشاهدة كل المنزل الذي فُتِح للمشاهدة العامة، قابلهم البستاني العجوز في الخارج، والذي كان عليه أن يجعلهم يشاهدون الحدائق والمتنزّة. واستداروا للتوّ لكي يسيروا معه إلى الجدول، وارتعبت "إليزابيث" فجأة لرؤية مالك بيمبرلي قادماً من حول زاوية المنزل.كانا فقط على مسافة عشرين ياردة أحدهما من الآخر، إلتقت أعينهما وسرعان ما احمرت وجنتا كل منهما احمراراً عميقاً، وقف ساكناً من المفاجأة، واستدارت "إليزابيث " آلياً لكي تغادر بأسرع ما يمكن، لكن السيد "دارسي" تذكّر بسرعة طبيعته، فتقدّم لكي يُلقي إليهم بالتحية، بطريقة مهذّبة مؤدّبة، ودّية، وأدرك السيد والسيدة جاردينر من هو على الفور، بعد أن كانا قد رأيا صورة له منذ قليل. ووقفا ينتظران، بينما كان هو يتحدث إلى ابنة أخته، التي كانت مشوشة، مرتبكة على نحو

واضح، لا تجرؤ أن ترفع عينيها إلى وجهه، ولم تكن تعرف ما الإجابات التي ردّت بها على أسئلته المؤدبة عن عائلتها.

كانت بعض الدقائق الأكثر إزعاجاً في حياتها، لكن سلوكه كله معها كان قد تغيّر، منذ أن تكلما آخر مرة، لم يكن في صوته أيّ تعبير عن ثقته العادية بالنفس، ومن الواضح أن عقله لم يكن مركّزاً على ما كان يقوله على الإطلاق، وأخيراً، بدا وكأن كل فكرة قد غادرت رأسه، فوقف لبضع لحظات دون أن يقول كلمة، وأحسّت هي بالراحة، حين ودّعها فجأة، وعاد سائراً تجاه المنزل.انضم الآخران إليها وتابعوا السير في الحدائق، لكن "إليزابيث" لم تسمع أيّ كلمة حين قالت الخالة تثني عليه أنه رجلاً حسن المظهر وسيم، وكانت تطري أيضاً على جمال المشاهد في المنتزه.سارت صامتة، تلفها أفكارها ومشاعرها. كم سوف يبدو له الأمر غريباً أن تأتي لكي ترى بيمبرلي حين ظنت أنه كان غائباً! أو ربما بدا له أنها رمت بنفسها في طريقة ثانية!أوه؛ لو أنه لم يصل أبكر مما كانت تتوقع؛ أو لو أنهمكانوا قد غادروا قبل عشر دقائق أبكر! لكن ما الذي يمكن أن يعنيه سلوكه المتغيّر على نحو ملحوظ تجاهها!لقد كان من المذهل أنه استطاع حتى أن يتحدث معها، ولكن أن يتحدث على هذا النحو اللطيف، وبهذا الأسلوب المهذّب المراعي لشعور الآخرين، كما كان في ذاك اللقاء غير المتوقع.سواء كان قد رآها متألمة أو مبتهجة، فهي لم تعرف، رغم أنها استطاعت أن ترى أنه كان مضطرباً جداً بسبب هذا اللقاء.إنها فعلاً لم تكن تعرف ماذا تعتقد على الإطلاق بخصوص هذا الأمر.

وأخيراً، بينما كانوا يسيرون خلال الغابات ومشاهدة مشاهد جميلة والنهر الجميل

الصغير بدأ السيد والسيدة جاردينر يعلّقان على ذهولها وشرودها. وأجبرت نفسها على أن تتصرف كما كانت دائماً بطريقة بشوشة مستبشرة، ولكن عند عودتهم تجاه المنزل، كانت "إليزابيث " مجدداً مذهولة، أن ترى السيد "دارسي" يسير في اتجاههم ويُقبل عليهم، وسرعان ما كان معهم.هذه المرة، ورغم أنها شعرت بعدم الراحة والإرتباك، تذكّرت "إليزابيث" أن تقدّم الخالة والعم إلى السيد "دارسي"، وكانت مندهشة أن ترى أنه سعيد جداً ومهذّب معهما بينما كانت تتوقع منه أن يعتبرهما هم أيضاً أقل أهمية. وكانا مقبولان بالنسبة له. وبدأ حديثاً مع السيد جاردينر حول الصيد، ودعاه أن يأتي ويصطاد معه في الجدول في بيمبرلي، وأراه أين تكون الأماكن الأفضل للصيد في الجدول.واصلت "إليزابيث" دهشتها وراحت تسأل نفسها: "لماذا تَغيّر إلى هذه الدرجة؟ليس من الممكن أن يكون قد تغيّر من أجلي وأصبح هكذا مهذّب! فمن المستحيل أن كلماتي له في هانزفورد خلقت مثل هذا التغيير، أوأنه لا زال يفكّر نحوي بطريقة جيدة، حتى بعد كل هذا الذي حدث". وعندما بدأت السيدة جاردينر تشعر بالتعب والإرهاق، بدأت تسير مع السيد جاردينر، مستعينة على المشي بالإمساك بيده؛ وسارت "إليزابيث" مع السيد "دارسي".شرح لها أنه إنما قد جاء إلى بيمبرلي يوماً أبكر لكي يتأكّد من أن كل شيء كان مُعَدّاً لاستقبال أصدقائه، كما قال أنه كان يأمل أن تأتي هي لمقابلتهم، خاصة أخته، التي كانت ترغب في لقائها. وسألها قائلاً:

- هل تسمحين لي أن أقدّمكِ لها خلال إقامتكِ في لامبتون؟

ولشدة دهشتها، حيث أن هذا يعني أنه إذا كان السيد "دارسي" يرغب في مقابلتها لأخته، إذن فقد تحدّث معها عن "إليزابيث ".وشعرت بالارتياح أن تعتقد أنه ربما لم يفكّر فيها على نحو سيئ جداً، وقبلت دعوته. وسارا صامتين، بينما كان كلاهما يستغرق في تفكير عميق؛ وقبل أن يغادرا لكي يعودا إلى الفندق في لامبتون، اتفق السيد "دارسي" مع "إليزابيث" أنه سوف يُحضر أخته لكي تقابلها هناك في اليوم التالي لوصولها إلى بمبرلي.أخيراً، وصل السيد"دارسي" مع أخته، لزيارة "إليزابيث" وعائلة جاردينر في لامبتون مباشرة بعد وصول أخته، قبل الموعد المتفق عليه بيوم واحد. كان السيد والسيدة جاردينر مندهشان لهذه الزيارة التي لم تكن "إليزابيث" قد أخبرتهما باحتمال حدوثها من قبل، إلا أنهما كانا سعداء بالزيارة المبكّرة للسيد "دارسي" وأخته لابنة أختها، وراحا يستوضحان ما إذا كان هناك شيء أكثر من مجرد الصداقة يكمن وراء هذا الاهتمام المهذّب تجاه "إليزابيث". فقد لاحظا بوضوح أنها هي نفسها كانت مضطربة جداً عندما رأت السيد "دارسي" وأخته يصلان في عربتهم الصغيرة المكشوفة أمام الفندق بهذه الطريقة غير المتوقعة، فقد كانت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، في إنتظارهما للظهور بالفندق، في محاولة للسيطرة على ارتباكها وتشوّش مشاعرها.شاهدت نظرات الاهتمام في عيون العم والخالة، وكان ذلك وحده كفيلاً بأن يجعل الأشياء أسوأ بالنسبة لها.في هذا اللقاء الأول مع الآنسة "دارسي" وبعد الأيام القليلة التالية، عندما تم دعوتها عدة مرات إلى منزل بيمبرلي، مع العم والخالة، وجدت "إليزابيث" الفتاة الصغيرة خجولة ورقيقة،

ليست متكبّرة على الإطلاق، كما كانت تتوقع. وبدأت تجد المتعة في وجودها مع صديقتها الجديدة، وكانت تستمتع حتى بصحبة السيد "بينجلي "، الذي كان واحداً من المجموعة المقيمة في بيمبرلي، مع السيد "دارسي". وكان غضب "إليزابيث" من السيد "بينجلي" قد انتهى منذ فترة طويلة، واكتشفت أنه كان نفس الشخص الصريح الودود، الذي عرفته في قاعة نيذرفيلد. كان ساحراً جداً لدرجة أنه كان من المستحيل بالنسبة لها أن تغضب منه، حتى إذا أرادت أن تفعل.سألها إذا كانت كل أخواتها في "لونغ"بورن، وعمّا إذا كنّ كلهن بخير، ولم تكن كلماته، بل سلوكه الذي أعطى لأسئلته معناها الكُلّي لـ"إليزابيث". كان من الواضح أن أفكاره التي تنصبّ على "جاين" لا زالت كثيرة جداً. وهو ما جعل "إليزابيث" سعيدة. مع مرور تلك الأيام القلائل، لرؤية السيد "دارسي" بين أصدقائه في بيمبرلي عدة مرات، اضطرت "إليزابيث" أن تفكّر كيف تَغيّر رأيها عنه، بالتأكيد أنها لم تكرهه، حتى أنها شعرت بالخجل من التفكير بأنها كانت قد كرهته. وبدأت، في البداية بدون رغبة، تعترف لنفسها أنها كانت تحترم أشياءً معينة بخصوصه، ولكنها كانت أيضاً ممتنّة له. ليست فقط ممتنّة لأنه أحبها ذات مرة، بل أيضاً لأنه قد غفر لها بوضوح تُهمها الماضية غير العادلة. بالنسبة للعم والخالة كان من الواضح أنه يحب ابنة أختها، أما بالنسبة لـ "إليزابيث" فقد بدا لطيفاً ومُراعياً لمشاعر الآخرين، متحمساً للاستمرار في صداقتهم، ولأن يكوّن رأياً جيداً حول العم والخالة، ولأن يشجع الصداقة المتنامية بين أخته وبينها هي نفسها.بعد أن قضوا بعض الأيام القلائل في لامبتون، وصلت رسالة إلى

"إليزابيث" من "جاين". كانت تحوي أخباراً سيئة.قالت فيها: " إليكِ "ليزي"، يا أعزّ الناس.لقد حدث شيء خطير جداً وغير متوقع، ولكن لا تنزعجي، فنحن جميعاً بخير، إنه يخص المسكينة "ليديا". فقد وصلتنا رسالة من العقيد فورستر في برايتون، يخبرنا فيها أن "ليديا" قد هربت سرّاً إلى اسكتلندا مع واحد من ضباطه، بالتحديد، كان هذا الضابط هو ويكهام، يا له من خطأ فادح منهما كلاهما؛ رغم أن ويكهام يجب أن يعرف أن "ليديا" لا أموال لديها على الإطلاق، لذافعلى الأقللم يكن عليه أن يأخذها معه ويهرب إذا كان يريدها من أجل الأموال. ويبدو أنهما يفكّران في الذهاب إلى "جريتنا جرين " للزواج؛ ولكننا غير متأكّدون تماماً أنّهما ذهبا معاً إلى لندن لمحاولة معرفة أيّ طريق قد يأخذ ويكهام و"ليديا" إلى اسكتلندا. ونحن جميعنا نخشى جداً على سمعة "ليديا " وسمعة عائلتنا. إن أمّنا المسكينة قد ساءت حالتها حقاً وتقيم في غرفتها. أنا سعيدة أنكِ لم تكّني هنا حتى لا تعاني كل هذا القلق معنا؛ ولكنني أودّ أن اعترف لكِ أنّني أتشوّق جداً لعودتكِ؛ ولديّ طلب واحد أرغب في طلبه؛ على أيّ حال؛ من العم. أعلم كم هي ثمينة نصيحته المتعقّلة إلى والدنا في هذا الوقت بالذات، وأتساءل إذا كان من الممكن له أن يأتي لمساعدتنا في هذا الوقت الصعب ؟

أختك المحبة "كان العموالخالة خارج الفندق، يتنزهان في المدينة، ونهضت "إليزابيث" فور أن فرغت من قراءة هذه الرسالة بأخبارها الفظيعة، وهي عازمة على أن تخرج للبحث عنهما على الفور، ولكن بمجرّد أن وصلت إلى الباب فتحه

الخادم وظهر من خلاله السيد "دارسي"، واستوقفه شحوب وجهها واضطراب سلوكها، وقبل أن يقول شيئاً كانت "إليزابيث" قد قالت:

- يجب أن تعذرني. إذ يجب أن أذهب للبحث عن السيد جاردينر في الحال. وليس لديّ دقيقة لأن أفقدها.

قال في قلق:

- ما الأمر؟ من فضلك، إما أن تدعيني أنا أذهب في هذه المهمة، وإما أن أرسل أحد الخدم للبحث عن السيد والسيدة جاردينر، أما أنتِ فلستِ في حالة تسمح لكِ بذلك. ولا يمكنك الذهاب بنفسكِ.

قال ذلك، ثم استدعى الخادم الذي فتح له الباب، وأرسله في مهمة البحث عن السيد جاردينر.جلست "إليزابيث"، وقد بدت غير سعيدة ومريضة. كان من المستحيل للسيد "دارسي" أن يتركها، عرض عليها أن يُحضر لها كأساً من النبيذ، أو يبحث لها عن أحدهم لكي يرعاها ويهتم بها. قالت له في ضعف وأسى:

- لا، أشكر لك اهتمامك، فأنا لستُ مريضة، فقط وصلني الآن أخباراً سيئة جداً من "لونغ"بورن.

وانفجرت في البكاء، ثم تمالكت نفسها، وأخبرته عن الأنباء السيئة التي

تدور حول "ليديا" و ويكهام.استمع السيد "دارسي" لها باهتمام. كانت صدمة بالنسبة له، بالطبع، وسألها عما تم فعله للبحث عن الاثنين وإعادة "ليديا " إلى

البيت مرة أخرى، واستمع باهتمام بينما كانت "إليزابيث" تخبره أن والدها قد ذهب إلى لندن وأن السيد جاردينر سوف يُطلب منه أن يذهب في المساعدة أيضاً.بدأ السيد "دارسي" يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، يفكّر في أفكار قاتمة موحشة، بينما كانت "إليزابيث" تراقبه، وهي تفكّر كيف سوف يجعله هذا الحادث الحزين لا يرغب بالتأكيد في أن يفعل شيئاً أبداً من أجلها أو من أجل أسرتها ولم تشعر بصدق أبداً أنها كان يمكنها أن تحبه مثل الآن، حين أن كل الحب كان بلا أمل.وبعد دقائق قليلة وثقيلة من الصمت، تحدث السيد "دارسي" مرة أخرى، بلطف، وهدوء، وعرضعليها أن يفعل ما في وسعه للمساعدة في إعادة "ليديا" ومعها ويكهام إلى "لونغ"بورن بأسرع ما يُمكن، كما وعدها أن يكون ذلك في سِرّيّة وتكتّم، وعبّر لها عن تعاطفه معها ومشاركته الوجدانية، وسرعان ما غادر.وشعرت "إليزابيث" أنه ليس من المحتمل إلى حد كبير؛ أن يرى أحدهما الآخر مرة أخرى، ويقيناً ليس بهذه الطريقة الودّية التي بدأ كلاهما يعرف الآخر بها في ديربيشاير. والآن كل ما تتمناه؛ هو أن تكون في البيت مرة أخرى، مع "جاين"، بأسرع وقت ممكن؛ ولم يأخذ الأمروقتاً على الإطلاق للموافقة بعد عودة عائلة جاردينر إلى الفندق؛ واتفقوا جميعاً على العودة في الحال، فور حزم أمتعتهم، وتم سداد فاتورة الفندق، وكانوا جميعاً في طريق العودة إلى "لونغ"بورن.لم يكن السيد جاردينر يصدّق أن ويكهام و"ليديا" قد هربا معاً إلى اسكتلندا،

ولهذا، بعد الوصول إلى "لونغ"بورن بيومين ترك زوجته و"إليزابيث" هناك؛ وذهب مباشرة إلى لندن، لكي ينضم إلى السيد "بينيت " هناك، في محاولة لاكتشاف إلى أين ذهب الشاب والفتاة.كانت "إليزابيث" تلوم نفسها، لعدم إخبار والدها ماذا علمت عن ماضي سلوكيات ويكهام مع الآنسة "دارسي"، وشعرت أنها جزئياً مسئولة عن المشاكل الحالية.وصلت أخبار أيضاً من السيدة فيليبس في ميريتون أن ويكهام قد ترك ديوناً طائلة في المدينة، عندما ذهب إلى برايتون؛ وأن كل واحد في ميريتون الآن يفكّر فيه على أنه شاب مُزعج وغير جدير بالثقة. لقد أصبح الأمر واضحاً أكثر فأكثر كم كان الضرر الذي ألحقته "ليديا" بنفسها ولكل عائلتها بهروبها مع شاب مثل ويكهام.كانت الخالة عوناً كبيراً للسيدة "بينيت"، التي مكثت في غرفتها تشكو شكوة لا تنتهي بخصوص السلوك غير العادل وغير الممتن من ابنتها الطائشة الرعناء، وانتظروا كل يوم رسالة تأتيهم من السيد جاردينر، لكي يخبرهم فيها ماذا كان يحدث. كل يوم كان هو يوم القلق؛ والانتظار.وكتب السيد جاردينر بعد ذلك بيومين لكي يخبرهم أنه قد وجد السيد "بينيت"، وأعاده إلى منزل عائلة جاردينر، للإقامة معه.وبعد عدة أيام أخرى كتب مرة أخرى لكي يقول أنه قد أقنع السيد "بينيت" أن يعود إلى "لونغ"بورن وأنه، أي السيد جاردينر، سوف يستمر بنفسه في البحث في لندن عن ويكهام و"ليديا".ولم يجد شيئاً بعد يجعله يعتقد أن الشاب والفتاة قد هربا معاً إلى اسكتلندا للزواج، ولذا فقد كان متأكّداً من أنّهما لا يزالانموجودان في مكان ما في لندن.

وقد سمع أيضاً من الكولونيل فورستر أن ويكهام قد ترك وراءه ديوناً في برايتون؛ ولكن لم يكن هناك المزيد من الأخبار العاجلة عن الشاب والفتاة.بدأت السيدة جاردينر تتمنّى أن تكون في بيتها في لندن لكي تساعد زوجها بقدر إمكانها، ولذلك، عندما عاد السيد "بينيت" إلى "لونغ"بورن، ودّعتهم جميعاً وسافرت عائدة إلى لندن في نفس العربة.كانت "إليزابيث" آسفة جداً لسفر الخالة، كما كانت الخالة بدورها آسفة جداً أن تترك "إليزابيث" بدون أن تعرف بوضوح أكثر أيّ شيء عن علاقتها مع السيد "دارسي".لم يُذكر اسمه أبداً على لسان ابنة أختها، منذ رحيلهم المفاجىء من ديربيشاير.كانت السيدة جاردينر تأمل أن تتبعهم رسالة إلى "إليزابيث" من ديربيشاير؛ ولكن ذلك لم يحدث؛ ولا شيء كان قد وصل. ولقد ظل الأمر بالنسبة لها يشبه الأحجية؛ وكانت "إليزابيث" نفسها قد تأكّدت بوضوح؛ أنها إذا لم تكن قد عرفت السيد "دارسي" أبداً لما كانت تشعر بإحباط بسبب الضرر الذي ألحقته "ليديا" بنفسها وبقيّة أخواتها بغباء.

*****

الفصل الثالث والعشرون

بعد يومين وصلت رسالة أخرى من السيد جاردينر. وأخذتها "إليزابيث" من أبيها وراحت تقرأها إلى كل أفراد الأسرة.."أخي العزيز..أخيراً؛ أراني قادراً على أن أرسل إليك أخباراً عن ابنة أختي؛ وقد لا تكون سيئة بالقدر الذي تخشاه أن يكون.بعد أن تركتنا أنت يوم السبت، كنتُ أنا محظوظاً تماماً؛ إذ سرعان ما اكتشفتُ أين كانا يقيمان؛ وقد رأيتهما كليهما فعلاً، وهما لم يتزوجا؛ كما أنهما ليس لديهما نيّة الزواج؛ ولكنّني آمل أن أتمكّن من إقناعهما بأنه عليهما أن يتزوجا.إن ويكهام يطلب مبلغاً من المال – مائة جنيهاً في السنة –قبل أن يوافق على الزواج من ابنتك؛ ولم أتردّد في أن أخبره أنك سوف تدفعها. إن الأمر يبدو؛ على أيّ حال، كما لو أن ظروف ويكهام المالية ليست ميئوس منها جداً أو متعذّرة جداً كما كنا نعتقد؛ خاصة بعد أن قام بسداد ديونه.وأنت لستَ بحاجة إلى أن تأتي إلى المدينة مرّة أخرى؛ ولكن من فضلك أرسل ردّك في أسرع وقت ممكن؛ وسوف أقوم أنا بإتمام كل ترتيبات الزواج ..آمل أن توافق.وسوف تأتي "ليديا"للعيش والإقامة معنا هنا ابتداءً من اليوم.المخلص.. جاردينر"وقالت "إليزابيث" بعد أن انتهت من قراءة الرسالة :

- إن الأمر ممكن، سوف يتزوجها !

وقالت "جاين":

- إن ويكهام ليس سيئاً كما كنا جميعاً نعتقد أنه كذلك، ولقد كنّا غير منصفين له جميعنا يا أبي العزيز؛ عليّأن أهنئك.

وقد تمت الإجابة على السيد جاردينر حالاً، رغم أن السيد"بينيت" كان قلقاً من أن يكون السيد جاردينر قد اضطر لأن يدفع أكثر بكثير من المبلغ الذي ذكره في الرسالة، لكي يجعل ويكهام يوافق على الزواج من"ليديا".إنه لم يحب أن يفكر في أنه سوف يكون مديناً للسيد جاردينر بهذه الطريقة، لكن لا يوجد شيء آخر يُمكن فعله. وعلى "ليديا " أن تتزوج بأسرع وقت ممكن.والنقود يجب أن تُدفع.وذهبنَ لكي يُخبرن أمّهن بالأخبار؛ وانفعلت جداً لفكرة أن إحدى بناتها سوف تتزوج إلى حد أنها نسيت كل شيء عن ظروف الترتيبات كلها؛ وعن كل ما عرفنه كلهن عن سلوك ويكهام؛ فبدأت تتكلم عن "ليديا " بصفة "العزيزة، والعزيزة "ليديا" "، وعن ويكهام بصفة " العزيز ويكهام"، وراحت تفكر في ملابس الزفاف، والذهاب على الفور إلى ميريتون لكي تخبر كل صديقاتها بالأخبار الجيدة.وحاولت "جاين" أن تذكّرها بما يفكّر فيه سكان ميريتون عن ويكهام، وعن الدَين الكبير الذين سوف يدينون به للسيد جاردينر، لكن هذا لم يكن ذا نفع، ولم تكنلتصغي.كانت"إليزابيث" قد سأمت من كل هذه الأحاديث الغبية، فهربت إلى غرفتها وكان لديها الوقت الكافي لكي تُقدّر جيداً كم كان الحظ حليفهم حيث جنّبهم مثل هذا الضرر البالغ الذي كادت "ليديا " أن تُلحقهباسمها وباسم العائلة، حتى رغم أنه كان من غير المحتمل إلى درجة بعيدة أن "ليديا" كانت سوف تستمتع في أيّ وقت من الأوقات كثيراً بالسعادة أو

بالثروة في حياتها الزوجية باسم السيدة ويكهام.انتشر سريعاً خبر أن "ليديا" كانت سوف تتزوج في الحي، حيث تلقّاه الناس بطريقة فلسفية كموضوع يمكنهم الحديث حوله، حيث أعطاهم شيئاً للكلام عنه لبضعة أيام. كانت تعاستها المستقبلية تُعتبر أمراً مؤكّداً.استطاعت السيدة "بينيت" أن تغادر الفراش مرة أخرى؛ ولأول مرة منذ أسبوعين؛ ولم يعُد يؤرّقها الإحساس بالخجل أو العار بسبب حقيقة أن "ليديا" و ويكهام قد عاشا معاً لمدة أسبوعين بدون زواج. بل بدأت تتحدّث عن أنهما سوف يتزوجان بحرية، لكل واحد يمكنها أن تتحدث معه. أما عن السيد "بينيت" فلم يشاركها في وجهة نظرها حول هذا الأمر، بل على العكس من ذلك؛ فقد وعد ألا يرحب أبداً بابنته "ليديا" ولا بزوجها في منزلهم مرة أخرى؛ كما أنه لن ينفق ولا بيني واحد من أجل شراء ثياب العُرس لها.بالطبع كانت هذه القرارات قد أحدثت جدلاً واسعاً في المنزل. ولم تتفهم السيدة "بينيت" أن غضبه سوف يصل به إلى هذا المدى على الإطلاق.والآن، وقد انتهت المشاكل، كانت "إليزابيث"آسفة إلى درجة مُفرطةعلى أنها ذكرتهما للسيد "دارسي" في ذاك الصباح في الفندق في لامبتون.ولم يكن سبب ذلك أنها كانت تخشى من أن يُخبر أحداً آخر. فإنها لا تثق في أحد غيره كليّة لكي تأتمنه على مثل هذه الأمور لكي تكون في طيّ الكتمان. ولكن، من ناحية أخرى، ليس هناك أيّ شخص غيره ترغب "إليزابيث" جداً في أن يظلّ بعيداً عن أيّ معلومات بخصوص قصة هذا العار والعمل الشائن إن سلوك أختها كما أخبرها في هانزفورد قبل أن يحدث كل ذلك، لم يكن سلوكاً جديراً بالاحترام. ولكنه يفكّر،

بالتأكيد، أنه عمل مخزي تماماً، خاصة أن "ليديا" سوف تكون زوجة ويكهام وهو الشخص الذي لا يثق به السيد "دارسي". من الواضح أنه لن يرغب أبداً في تكوين أيّ صلة مع عائلة مثل هذه، وأن اهتمامه المستمر بها، والذي بدأت "إليزابيث" تراه في ديربيشاير سوف ينتهي بالتأكيد. وشعرت بالحزن والأذى عندمافكرت في هذا الأمر؛ وعندما توقفت عن أن تأمل في أن يحدث هذا في أي وقت من الأوقات، بدأت تتمنى أن يكون لا يزال يرغب في رؤيتها مرة أخرى، وفي أنهما يجب أن يتقابلا، وفي أنها قد تتلقى بعض الأخبار عنه. يا له من انتصار له، كانت تفكر في هذا الأمر غالباً، إذا علم أن العرض الذي رفضته بكبرياء منذ أربعة أشهر مضت، سوف يتم الآن قبوله بسعادة مع الامتنان والشكر! وبدأت تدرك أنه هو الرجل الوحيد في العالم الذي تتوافق شخصيته ووجهات نظره تماماً مع شخصيتها ووجهات نظرها. فإنهما يلائمان أحدهما الآخر.إنها سوف تحوّل سلوكه الجاد وأحكامه الجادة إلى اللين واللطف، بحيويتها ومرحها، وبالمقابل سوف تتعلم من ذكائه، وتفهّمه للحياة والأمور. ولكنها الآن لا يمكنها أبداً أن تتطلّع إلى أن تُصلح من علاقتها به واستعادة صداقته، وإعجابه بها، لا يمكن أن يتحقق مثل هذا الزواج المثالي في أيّ من الأوقات.سرعان ما كتب السيد جاردينر مرة أخرى إلى أخيه لكي يُعلمه أن كل ديون ويكهام في برايتون قد تمّ سدادها، وأن ويكهام قد وافق على أن يذهب مع الجيش إلى مواقع أفضل في شمال إنجلترا. أما عن "ليديا" فسوف تذهب لكي تعيش معه هناك بعد زواجهما بوقت قصير، لم تكن السيدة "بينيت" سعيدة أن تفكر في أن "ليديا" سوف تعيش في الشمال؛

على مسافة طويلة بمثل هذا البُعد؛ ولكن السيد "بينيت" والآخرون لم يكونوا غير سعداء بهذه الفكرة. ورفض السيد "بينيت" بحزم، في البداية، طلب "ليديا" أن تأتي لزيارتهم جميعاً وهي في طريقها من لندن إلى الشمال، ولكن "جاين" و"إليزابيث" أقنعتاه بأن يغيّر رأيه؛ ولذا فقد كتب رسالة إلى السيد جاردينر يمنح بمقتضاها موافقته للزوجين الشابين أن يأتيا. لقد تمّت الموافقة لهما أن يأتيا إلى "لونغ"بورن فوراً بعد زواجهما في لندن.وحان موعد الزفاف، وأرسلت العربة لإحضار السيد والسيدة ويكهام إلى المنزل لتناول طعام الغداء. ووصلا. وكانت الابتسامات تكسو وجه السيدة "بينيت"؛ حال أن توقفت العربة أمام الباب. أما السيد "بينيت" فقد كان فاتراً جداً وكان من النادر أن يقول كلمة. وقد بدا أن "ليديا" لم تدرك أبداً كم كان سلوكها أحمق؛ بل أنها كانت تتوقع من الجميع أن يهنئونها من القلوب.ولم يكن السيد ويكهام يقلق أو يشغل باله بالأمر كله أيضاً. ولم تكن "إليزابيث" بوسعها أن تصدّق ما يحدث، وشعرت بالإنزعاج الشديد لدرجة أنها ذهبت إلى غرفتها ومكثت بها حتى حان موعد الغداء.وبينما كانت السيدات بمفردهن في غرفة المعيشة ينتظرن انضمام الرجال إليهن، بعد أن فرغ الجميع من تناول طعام الغداء، كانت "ليديا" قد أصرّت أن تحكي لهن عن كل شيء بخصوص الزفاف، وكيف ذهبت إلى الكنيسة مع عمها وخالتها، اللذان، حسب ما قالت، لم يكُنا مسروران أبداً، عندما كانت تقيم معهما؛ وكيف أن عمها أتى تقريباً متأخراً، رغم أن السيد "دارسي" كان قد

وصل في الموعد تماماً.وهنا قالت "إليزابيث " بدهشة، تكرر اسم السيد "دارسي":

- السيد "دارسي"!
- أو، بلى! لقد جاء إلى هناك، مع ويكهام؛ كما تعلمين. ولكنني نسيت تماماً! لقد كان من المفترض ألا أقول أنه كان هناك! ولقد وعدته بذلك. ماذا سوف يقول ويكهام عني؟ لقد كان ذلك سرّاً كبيراً!

على أيّ حال، فلقد اتفقن على ألا يقلن لـ ويكهام أنهن تعلمن شيئاً عن أن السيد "دارسي" كان قد حضر الزفاف؛ ولكن فضول "إليزابيث" دفعها إلى أن تكتب رسالة قصيرة للخالة بعد ذلك بيوم أو يومين، سألتها فيها عن سبب حضور شخص لا شأن له بالعائلة للزفاف؛ وطلبت منها أن تكتب لها الردّ وتشرح لها هذا الأمر فوراً.وسرعان ما وصل الردّ من خالتها؛ في رسالة طويلة، تخبر فيها "إليزابيث" بكل تفصيلات الزفاف، وتُعبّر فيها عن دهشتها أن "إليزابيث " تعلم أن السيد "دارسي" كان قد حضر الزفاف بينما من المفترض أن يكون هذا الأمر سرّا. ومع ذلك فقد شرحت لماذا كان هناك..يبدو أن السيد "دارسي" هو من إكتشف مكان وجود "ليديا" والسيد ويكهام في لندن، وهو الذي أخبر السيد جاردينر عن مكان إقامتهما، وأين يُمكنه أن يجدهما. فقد ترك السيد "دارسي" أصدقاءه في ديربيشاير في اليوم التالي لمغادرة "إليزابيث"، وأسرع إلى لندن للبحث بنفسه عن ويكهام. فقد كان يبدو أنه يلوم نفسه ويحمل على عاتقه المسؤولية عن سلوك ويكهام السيء؛ معتقداً أن ويكهام لم يكن ليفعل ما فعله إذا

كان السيد "دارسي" قد أبلغ الجميع كم كانت لا تستحق شيئاً شخصية ويكهام، وكم هي شخصية غير جديرة بالاحترام؛ لكي يكون من المستحيل على أيّ فتاة أن تثق به في أيّ وقت، أو تقع في حبه.ولذلك كان السيد "دارسي" يشعر أنه من واجبه أن يعثر على ويكهام ويتأكّد من أنه تزوج من "ليديا". وأنه تعامل معها كرجل نبيل مُهذّب. وفعلاً سرعان ما اكتشف مكان وجود ويكهام، فور أن علم الأماكن التي من المحتمل أن يختبئ بها؛ ومن أجل إقناعه بالزواج من "ليديا " بدون تأخير، فقد وافق على أن يسدد كل ديونه سواء في ميريتون أو في برايتون، وأيضاً وافق على أن يساعده بمبلغ سخي من المال. وقد تمّ كل ذلك قبل أن يأتي السيد "دارسي" إلى منزل عائلة السيد جاردينر لكي يخبرهم أين يُمكنهم أن يعثروا على ويكهام و"ليديا"، ولكي يخبر السيد جاردينر كيفاستطاع أن يُجبر ويكهام على أن يفعل.وكان السيد "دارسي"، على ما يبدو، صارماً جداً في اعتبارأن مسؤولية سداد ديون ويكهام كلها إنما تقع عليه وحده، وأن كل الترتيبات يجب أن تظل سرّاً بين عائلة السيد جاردينر وبينه هو نفسه، فقط.كانت السيدة جاردينر قلقة بشأن تحطيم الثقة التي أولاها بها السيد "دارسي"، بإفشاء كل هذه المعلومات إلى "ليزي"، ولكنها كتبت أنها متأكّدة من أن"ليزي" نفسها هي الشخص الوحيد الآخر في العالم الذي يجب أن يعلم عن طريق السيد "دارسي" نفسه، عن نواياه وما يرغب في أن يفعله؛ كما أنها كانت على يقين أن السيد "دارسي" لديه أسبابه القوية جداً لأن يتصرّف بهذه الطريقة السخية.وفي الحقيقة، كتبت السيدة جاردينر، أن السيد جاردينر كان يعتقد أن السيد"دارسي"

كان لديه أسبابه الشخصية القوية جداً لأن يتصرف بهذه الطريقة لدرجة أن السيد جاردينر قد وافق على كل الترتيبات التي خطط لها السيد "دارسي".وختمت رسالتها بالمديح والثناء على كل الطريقة التي نفّذ بها السيد"دارسي" ما فعله بهذا الشأن؛ قائلة كم كان مهذّباً نحوهم في كل يوم، وقائلة يا له من رجل محبوب، كما كانت تعتقد.أما كلماتها الأخيرة فكانت: "هو فقط في حاجة إلى أن يكون حيويّاً قليلاً، واعتقد أنه إذا تزوج الفتاة المناسبة، فإن زوجته سوف تكون قادرة بسهولة على أن تجعله أقل صرامة وجديّة، وأنا أعتقد أنه ذكي، يا عزيزتي "ليزي "، هو حتى لم يذكر اسمك أبداً ولا لمرة واحدة. آمل ألا تفكّري أنني أتطاول قليلاً بقولي هذا، وألا تعاقبينني على ذلك بعدم دعوتي أبداً لزيارة بيمبرلي. لن أكون سعيدة أبداً

حتى أرى كل هذه الحديقة الجميلة؛ ولكنني يجب ألا أكتب المزيد الآن. خالتك التي تحبكالسيدة جاردينر"كانت هذه الرسالة قد أطاحت بعقل "إليزابيث" إلى التشوّش الكامل والارتباك، حيث كان من الصعب أن تقرر أيهما يستغرقها أكثر؛ البهجة؛ أم الألم. وكانت شكوكها حول ما إذا كان كل ما يفعله السيد "دارسي"في حفل الزفاف حقيقي؛ قد تجاوزت كل شيء تخيّلته! لقد سافر كل هذه المسافة الطويلة من بيمبرلي إلى لندن؛ للبحث عن ويكهام؛ ولكي يتأكّد من أنّه تزوّج "ليديا". إن هذا لا يمكن أن يُعتبر تجربة سارّة بالنسبة له؛ وأن يضطر إلى البحثوالتحدّث معالرجل الذي كان غالباً ما يرغب في أن يتجنّبه؛ وأن يُقنعه ويدفع له لكي يتزوّج من الفتاة الشابة؛ التي كان السيد"دارسي" نفسه يعتقد أنها

سخيفة وأنانية. كل هذا جعل قلب "إليزابيث" يهمس لها أن السيد "دارسي" قد فعل ما فعل من أجلها؛ ولكنها سرعان ما أوقفت هذا التفكير بأن أخبرت نفسها أن مثل هذا الرجل لم يكن من المحتمل جداً أن يفعل كل هذا من أجل المرأة التي – منذ فترة قصيرة، وبفظاظة – رفضت الزواج منه! ولكنه أنقذ "ليديا"؛ وأنقذ سمعتها الطيبة؛ وسمعة شقيقاتها؛ وسمعة عائلتها بالكامل. لقد كان من المؤلم أن تفكّر أنها تدين بكل هذا لرجل لن تتمكن أبداً من أن تردّ له هذا الجِميل، وشعرت بالخجل لكل انحيازها الماضي ضده، ولكنها في نفس الوقت شعرت بالفخر بلطفه السرّي تجاه عائلتها.وقرأت رسالة خالتها مرّات ومرّات، وكانت مسرورة أن تفكّر أن خالتها والسيد جاردينر؛ على الأقل؛ يعتقدان أن السيد "دارسي" كان قد فعل كل هذا من أجلها؛ وكان يسرّها أيضاًأنه لا يزال يهتمّ بها.سرعان ما حان موعد مغادرة ويكهام و "ليديا" إلى شمال إنجلترا؛ وانطلقا بعد

وداع مليء بالدموع والبكاء من "ليديا" والسيدة "بينيت"، وتوجيه الدعوات لهم جميعاً بزيارة الشابين في أسرع وقت ممكن.وكان من الواضح أن السيد "بينيت"؛ على الأقل؛ ليس لديه خطط أن يزور ابنته وابنه في القانون؛ في أيّ وقت من الأوقات؛ في الشمال؛ بل كان مبتهجاً أن يراهما يذهبان.كانت السيدة "بينيت" هادئة جداً لبضعة أيام بعد رحيلهما، حتى وصلت أنباء من السيدة فيليبس في ميريتون أن مدبّرة البيت في قاعة نيذرفيلد كانت قد تسلّمت تعليمات لأن تقوم بتجهيز البيت استعداداً لوصول سيدها وبعض الضيوف. كان السيد

"بينجلي" سوف يحضر من أجل الصيد لعدة أسابيع. نظرت السيدة"بينيت" إلى "جاين" وهزّت رأسها وبدأت تلعب في أصابعها ولم تعرف فيم عليها أن تفكر.ولم تكن "جاين" تستطيع أن تسمع هذه الأخبار دون أن ترتبك ويتغير لون وجهها، لقد انقضت عدة أشهر منذ أن ذكرت اسم السيد "بينجلي " إلى "إليزابيث"التي؛ أيضاً؛ بدت منزعجة جداً لهذه الأخبار.عندما وجدت "جاين" نفسها مع "إليزابيث" بمفردهما بعد هذا الحدث، قالت لها في إشارة إلى ارتباكها الذي بدا عليها بعد سماع الخبر:

- إن هذا ليس معناه أنني أخاف من مشاعري بعد الآن، إن الخبر لم يجعلني أشعر بالألم، ولا حتى بالسعادة، إلا أنني أخشى مما سوف يقوله كل شخص آخر عن هذا الأمر مرة أخرى.وهذا هو كل ما في الأمر.

لم تكن "إليزابيث" متأكّدة ماذا عليها أن تعتقد. إنها لم تخبر "جاين " أبداً أنها كانت قد رأت السيد "بينجلي"مرة أخرى في ديربيشاير، وأنه كان قد سألها عن "جاين" بطريقته الخاصة، بطريقة خجولة. ولم تكن ترغب في إزعاج أختها بهذا الأمر مجدداً. ولكنها عرفت أنه لم ينسَ "جاين". واستطاعت أن تدرك؛ على أي حال؛ كيف تلقّت"جاين" أخبار وصول السيد"بينجلي" المتوقّع؛ وكيف ظلّ في عقلها طوال الوقت؛ رغم ما قالته عنه وأخبرت به "إليزابيث". أرادت السيدة "بينيت" من السيد "بينيت" أن يزور السيد "بينجلي " مرة أخرى بمجرد وصوله، ولكن السيد "بينيت" رفض قائلاً أن فكرة زوجته قد جعلته يبدو أحمقاً

تماماً بما فيه الكفاية في المرة السابقة، بعد أن خاب أمل "جاين" وأحبطت على هذا النحو السيء.قال السيد "بينيت" :

- إذا كان يرغب في صُحبتنا؛ فيمكنه أن يأتي لزيارتنا؛ فهو يعرف أين نقيم. ولن أجري حول الحي في كل مرة يرحل فيها شاب مهذّب ثم يعود مرة أخرى.

سمعت السيدة "بينيت" أن السيد "بينجلي" وصل من خلال حديث الخدم. وراحت تخطط أن ترسل إليه دعوة للغداء خلال عدة أيام قليلة؛ ولكن في صباح اليوم الثالث من وصوله شاهدته من خلال نافذة الطابق العلوي يعبر من خلال البوابةتجاه البيت. ونادت على كل بناتها أن تأتين إلى النافذة؛ وكن يجلسن إلى الطاولة يُحكن ثيابهن؛ إلا أن "جاين" مكثت في مكانها بثبات؛ ولكي تُرضي أمها؛ ذهبت "إليزابيث" إليها لكي تنظر؛ واهتزّ قلبها عندما رأت السيد "دارسي" يركب إلى جوار السيد "بينجلي". فعادت مرة أخرى وجلست إلى جوار "جاين".قالت "كاثرين"، التي كانت لا تزال تنظر من خلال النافذة :

- إنني أتساءل من هو هذا الرجل الآخر؛ إنه يشبه جداً هذا الرجل النبيل الذي كان معه في نيذرفيلد من قبل؛ إنه السيد... ما اسمه... هذا الطويل... رجل فخور بنفسه !

قالت السيدة "بينيت" :

- يا إلهي! إنه السيد "دارسي"؛ إنني متأكّدة أنه هو؛ ماذا يُمكنه أن يريد من حضوره إلى هنا على هذا النحو؟إنني متأكدة من أنه ليس لديّ ما أقوله لرجل غير مقبول مثل هذا.

نظرت "جاين" إلى "إليزابيث" بقلق. وجدت "إليزابيث" وقتاً لكي تخبرها عن القليل حول لقائها مع السيد "دارسي" في ديربيشاير؛ وهو ما جعل "جاين" تقلق من أن الأمر سوف يكون صعباً بالنسبة لأختها لأن تقابل السيد "دارسي" مرة أخرى منذ أن أعطاها رسالته في هانزفورد. ولكن "إليزابيث " كانت قلقة من أسباب لم يكن لأختها "جاين " أن تخمّنها.ولم تعرض "إليزابيث" رسالة السيدة جاردينر، كما أنها لم تخبرها عن مشاعرها هي نفسها التي تغيّرت تماماً تجاه السيد "دارسي"؛ ولم تدعها تعرف أن السيد "دارسي" كان هو الشخص الذي تدين له كل العائلة بهذا القدر. تحدثت السيدة "بينيت" عن عدم إعجابها بالسيد "دارسي"، وعن اعتزامها أن تكون مُهذّبة معه فقط على اعتباره صديق السيد "بينجلي"، لم تستمع إليها أيّ من الأختين، فقد كانت كلتاهما منزعجتان.كانت "إليزابيث" منذهلة من مجيء السيد "دارسي" إلى هنا على الإطلاق. لماذايأتي مرة أخرى بدون حاجة، وبدون دعوة.سرعان ما عاد وجهها يشرق، بعد أن كان شاحباً، وعادت إليه الألوان الورديّة، وبدت في عينيها بريق ابتسامة تشي بالسعادة، كما كانت تفكر، مع أمل يتنامى، أن عاطفته ورغباته كما كانت، ولم تتغير.

*****

الفصل الرابع والعشرون

جلست "إليزابيث" تحاول أن تسيطر على نفسها، تحاول أن تركّز على الحياكة، بدون أن تجرؤ على أن ترفع عينيها، حتى فُتِح الباب، واصطحب الخادم الرجلين المهذّبين إلى داخل الغرفة.حاولت "جاين" أن تبدو هادئة.دخل الرجلان، ولكن ألوان وجهها تزايدت..واحمرّت منها الوجنتان.وهذا البريق في عينيها لم يكن موجوداً منذ قليل.تحدثت "إليزابيث" بالقليل من الأحاديث في الحدود التي يسمح بها الأدب، وعادت مرة أخرى لعملها بالحياكة. رفعت عينيها مرة واحدة بسرعة صوب "دارسي" فوجدته يبدو كعادته؛ أكثر مما بدا من قبل في نيذرفيلد، فكّرت هكذاأكثر منه عندما رأته في بيمبرلي.أما "بينجلي" فقد بدا كلا الأمرين، مسروراً.خجولاً. وقد استقبلته السيدة "بينيت" بسعادة ظاهرة؛ ولكن "إليزابيث" كانت خجولة عندما سمعت أمها تحيّي السيد "دارسي" بمثل هذه الطريقة الفاترة وبمثل هذا البرود!الرجل الذي تدين له باستمرار السمعة الحسنة لابنتها المحبوبة والمفضّلة. بعد السؤال عن أحوال السيد والسيدة جاردينر؛ جلس السيد "دارسي" صامتاً لمدة عدة دقائق. لم يكن يجلس إلى جوار "إليزابيث"؛ وعندما رفعت عينيها مرة أخرى وجدته غالباً ما كان ينظر إلى "جاين"؛ أو يحملق بلا هدف إلى الأرضيّة. لم تكن ترغب في الحديث مع أحد غيره؛ لكنها بالكاد كان لديها الشجاعة لتتحدّث إليه؛ سألته عن أخته، ثم لم تتحدّث معه أكثر من ذلك.ولكي توقف تفكير أمها الطائش وتعليقاتها المهينة؛ على أيّ حال؛ بعد عدة دقائق؛ سألت السيد "بينجلي" لكم من الوقت كان يفكر في البقاء في الحي.

قال لها أنه سوف يبقى لمدة عدة أسابيع.كانت الحيرة والارتباك نتيجة حديث الأم؛ على أيّ حال؛ قد أزيل وهدأ بالنسبة لـ "إليزابيث"؛ عندما لاحظت كيف أن جمال أختها قد تسبب بسرعة في الإعجاب الصريح بها يعود.لقد تحدّث في البداية معها قليلاً جداً، ولكن كل خمس دقائق كان يبدو أنه يمنحها قدراً أكبر من الاهتمام، لقد اكتشف أنها جميلة، وذات طبيعة حسنة ورقيقة؛ مثلما كانت العام الماضي؛ على نحو أهدأ.اعتقدت "جاين" أنها كانت تتحدّث كثيراً كالمعتاد، ولكن عقلها كان يعمل بانشغال كبير لدرجة أنها لم تكن تعرف متى ظلت صامتة.وعندما نهض الرجلان المهذّبان لكي ينصرفا؛ دعتهما السيدة "بينيت" للغداء في "لونغ"بورن خلال عدة أيام.وانصرفا.لم يرَ أحد منهم السيدين النبيلين حتى الثلاثاء التالي، عندما أتيا للغداء. عندما دخلا الغرفة صادف أن كانت "جاين" تتجول في الأنحاء، وحدث أن ابتسمت، لقد قررت أن تفعل ذلك. وجلس السيد "بينجلي" إلى جوارها، بتعبير نصف ضحكة في عينيه.وخلال الغداء؛ كان سلوك السيد "بينجلي" تجاه "جاين" أراها قدراً من الإعجاب لدرجة أن "إليزابيث" كانت واثقة أن سعادة "جاين" وسعادته سوف تكون يقينيّة.لقد جعلها سعيدة بقدر ما يمكنها أن تكون كذلك.جلس السيد"دارسي" في الطرف الآخر من الطاولة التي تجلس إليها، ولم يكن لديها الفرصة للحديث معه إطلاقاً معظم الأمسية، كان يمكنها أن تأمل في فرصة أن يكونا معاً خلال الأمسية، حتى يمكنهما على الأقل تبادل بعض الأحاديث.

إذا لم يتقدّم نحوي عندما ينضم إلينا الرجلان المهذّبان في غرفة المعيشة بعد الغداء – كانت تفكر–إذن سوف أعرض عنه للأبد!.وجاء الرجلان المهذّبان، وأخيراً اتجه السيد "دارسي"نحوها حيث كانت تجلس؛ حاملاً فنجان قهوته؛ وبعدها تبادلا حديثاً صارماً ومعقّداًحول أخته لمدة عدة دقائق.وكان هذا هو كل شيء!.وبالنسبة إلى "إليزابيث " لم تكن الأمسية ممتعة بعد هذا، رغم أنها استطاعت أن ترى كم كانت "جاين" مشرقة بالسعادة طوال الوقت.زارهم السيد "بينجلي" مرة أخرى بعد أيام قليلة من تلك الزيارة؛ ولكن بمفرده. فقد اضطر السيد "دارسي" أن يذهب إلى لندن لقضاء بعض الأعمال، ولكنه كان سوف يعود في خلال عدة أيام.وجاء السيد "بينجلي"مرة أخرى وثانية وثالثة خلال الأيام القليلة التالية.وذات مساء جلس معهم للغداء. وكانت السيدة "بينيت" ذكية بالقدر الكافي لأن تتأكّد أن السيد "بينجلي" كان قد أتيحت له الفرصة لأن ينفرد مع "جاين" لمدة بضعة دقائق خلال الأمسية؛ وهكذا أتيحت له الفرصة لأن يطلب من "جاين" أن تتزوجه.وجاءت "إليزابيث" لأنها كانت تقف إلى جوارهما بالقرب من المدفئة، ومع ابتسامة غادر السيد "بينجلي" الغرفة بسرعة، ولم تكن "جاين"تستطيع أن تخفي شيئاً عن أختها، فأحاطتها بذراعيها واحتضنتها، لقد كانت أسعد فتاة في العالم.كل أفراد العائلة كانوا في سعادة غامضة طوال بقية الأمسية؛ وللأيام القليلة التالية؛ وكان موضوع ويكهام و"ليديا" قد تم نسيانه تماماً؛ وبدت "جاين" أكثر جمالاً من أيّ وقت آخر؛ ولم تكن السيدة "بينيت" تستطيع أن تتحدّث عن أيّ موضوع آخر؛ وسرعان ما

علم كل الناس في الجوار عن الأمر.حتى والدهن كان من الواضح أنه سعيد جداً؛ ولذلك كان يتحدّث قليلاً عن هذا الأمر. ما عدا أنه كان يتمنّى لابنته كل السعادة.بعد هذه المناسبة السعيدة بعدة أيام؛ وذات صباح، وحدث أن وصلت عربة إلى الباب الأمامي في منزل "لونغ"بورن. كانت عربة غريبة. ولم يتعرّف عليها أيّ من السيدات. وتقدّم أحد الخدم أمام الزائر إلى الداخل.لقد كانت هي السيدة "كاثرين" دي بورج!.دخلت الغرفة وجلست بدون أن تقول كلمة واحدة؛ وبدون أن تطلب أن تُقدّم لأحد. في البداية تحدّثت فقط إلى"إليزابيث"؛ وكان من الواضح أنها في مزاج غاضب جداً.وبعد دقائق قليلة نهضت وطلبت من "إليزابيث" أن تتمشيان معاً في الحديقة؛ وافقت "إليزابيث "؛ ولكنها رفضت أن تجري حديثاً مع هذه السيدة؛ التي بدت غير مقبولة أكثر من المعتاد.وحالما كانتا تخطوان داخل الحديقة بدأت السيدة "كاثرين" تقول:

- آنسة "بينيت"؛ يجب أن تكوني تعرفين لماذا أتيت إلى هنا. إنني غير مسرورة أبداً أن أكتشف أنكِ من المحتمل أن تكوني قريباً زوجة ابن أخي؛ السيد "دارسي". آمل ألا يكون هذا الخبر حقيقي؛ وذلك لأنه لا يفكّر في الضرر الذي سوف يلحق وضعه الاجتماعي بسبب مثل هذا الزواج؛ وأنا أرغب في أن أسمعكِ تنكرين هذا الخبر.

كانت "إليزابيث" تُصغي إليها في ذهول تام، ثم أجابت أنها هي نفسها لم تسمع أبداً مثل هذه الأخبار.

قالت لها السيدة "كاثرين" دي بورج:

- وهل يمكنك أيضاً أن تخبريني أن مثل هذا الخبر غير حقيقي تماماً؟ هل ابن أخي قدّم لكِ عرضاً بالزواج؟ أخشى أنكِ قد قمتِ بتشجيعه، ربما أوقعتِه في فخّ لكي يقدّم لكِ عرضاً أحمقاً مثل هذا.
- لن أكون لأخبركِ يا سيدة "كاثرين" حتى إذا كان قد قدّم لي مثل هذا العرض.

لم تكن السيدة "كاثرين" دي بورج قد اعتادت أن يجيبها أيّ شخص بهذه الطريقة؛ خاصة إذا كان هذا الشخص أقل منها في المستوى الاجتماعي. ولذلك فقد صمتت بدون حديث لمدة دقيقة؛ ولكن في غضب؛ وبدأت بعد ذلك تخبر "إليزابيث" أنها كانت سوف تفعل كل شيء في استطاعتها لكي تعارض مثل ذلك الزواج؛ وأنها تنتوي أن تكون ابنتها الآنسة دي بورج، هي زوجة السيد "دارسي"؛ ولن يوقفها من تحقيق ذلك أيّ شيء.

- إذا لم يكن هناك سبب أكثر أهمية ينمنعني من التفكير في قبول أيّ عرض يقدّمه لي السيد "دارسي"؛ فسوف لن أفكّر في رفضه؛ يا سيدة "كاثرين".
- يجب عليكِ؛ يا آنسة "بينيت"؛ أن تدركي أنّني لم أحضر إلى هنا لكي تخيبي أملي. أريد منكِ أن تعديننني ألا تقبلي أبداً أيّ عرض قد يقدّمه لكِ السيد "دارسي" للزواج.

- ويجب عليكِ يا سيدة "كاثرين" أن تفهمي أنّني سوف لن أقدّم لكِ أيّ وعد من هذا النوع، وأنِكِ لن تخيفيني لكي أفعل هذا. وإنكِ قد ارتكبتِ خطأً فادحاً في فهم شخصيتي إذا كنتِ تعتقدين أنكِ يمكنكِ ذلك. ربما تعتقدينأنكِ يمكنكِ أن تتدخلين في الشئون الخاصة لابن أخيكِ، ولكنكِ لا تستطيعين التدخل في شئوني الخاصة. وأنا ليس لديّ المزيد لأقوله. وأنتِ تعلمين الآن شعوري تجاه هذا الأمر.
- كنتُ آمل أن أجدكِ متعقّلة.

قالت السيدة "كاثرين" ذلك، بينما كانت "كاثرين " قد استدارت واتجهت مباشرة بحزم نحو البيت.

وبنبرة فيها الكثير من الغيظ، استطردت السيدة "كاثرين" دي بورج قائلة:

- ولكنني الآن وقد علمتُ رأيك الحقيقي؛ صدقيني؛ لن تفوزي! فأنا مستاءة بشدة.

ولم تحر "إليزابيث" جواباً؛ وبدون أن تحاول أن تُقنع السيدة"كاثرين" لأن تعود إلى البيت؛ دخلت البيت بنفسها بمفردها؛ وسمعت صوت عربة السيدة "كاثرين" تبتعد بينما كانت تصعد الدرجات إلى الطابق العلوي.

كانت "إليزابيث" قلقة إلى حد مُفرط بخصوص الطرق المحتملة أو المُمكن اتخاذها والتي قد تحاول بها السيدة "كاثرين"أن تُنهي أيّ عواطف أو خطط لا

يزال السيد "دارسي" يحتفظ بها من أجلها.مراراً وتكراراً طوال الأيام القليلة التالية كانت "إليزابيث" تفكر في الزيارة الغريبة للسيدة "كاثرين"؛ وما هدّدت به.لم تكن تعرف ما هي وجهة نظر السيد "دارسي" حول رأي عمته؛ ولكنه إذا لم يكن على يقين من قبل؛ فمن الممكن أن تكون آراء السيدة "كاثرين " القوية والغاضبة تجاه "إليزابيث" ربما تقنعه بالتخلّي عن كل أفكاره بخصوصها.فكرت "إليزابيث" في نفسها: "سوف أعرف حال عودته إلى نيذرفيلد؛ إذا كان سوف يعود على الإطلاق" إلا أن الأشياء لا تحدث بهذ الطريقة. ففي صباح اليوم التالي طلب منها أبوها الذهاب معه إلى مكتبته لمدة عدة دقائق. لقد أراد أن يتحدث معها.قال لها:

- لقد وصلتني هذا الصباح أكثر رسالة إثارة للدهشة؛ إنها بخصوصك. أنا لم يكن لديّ فكرة أنّني لديّ ابنتين على وشك الزواج. دعيني أهنئكِ؛ يا عزيزتي "ليزي".

انطلق اللون الأحمر الوردي يلوّن خدود "إليزابيث".قالت في نفسها: "يجب أن تكون هذه الرسالة من السيد "دارسي"!" قال السيد "بينيت":

- هذه الرسالة من ابن عمكِ؛ السيد كولينز. إنه يبدأها بتهنئتي بمستقبل "جاين" السعيد؛ ولكنه بعد ذلك يستمر في كلامه لي يحذّرني من أن السيدة "كاثرين"؛ صاحبة عمله في هانزفورد؛ التي تبدو غاضبة جداً من إمكانية التوافق الذي يفكّر في تحقيقه ابن أخيها، السيد "دارسي"؛

مع ابنتي الثانية! التي هي عزيزتي "ليزي"؛ هل تتخيّلين هذا! السيد "دارسي" الذي يبدو أنه لم ينظر أبداً إلى امرأة بدون أن ينتقدها! يا لها من مُزحة رائعة؛ أليست كذلك؛ يا عزيزتي "ليزي" ؟

وضحك السيد "بينيت" من قلبه على ما اعتقده أنه مُزحة كبيرة؛ ولكن "إليزابيث" لم تستطع إلا أن ترسم إبتسامة صغيرة على شفتيها. فلم تجد أن هذا الأمر مسلّياً!فقد بدأت تخشى أن يكون الأمر حقيقة ربما ما هو إلا مُزحة كبيرة!وربما أنها قد تخيّلت أن الأمر كله من وحي خيالها!.ولكن السيد"دارسي" كان قد عاد فعلاً إلى نيذرفيلد بعد ذلك بيوم أو يومين، وأتى إلى منزل "لونغ"بورن مع السيد "بينجلي"في الصباح الباكر من اليوم التالي. واقترح "بينجلي" أن يقوموا بنزهة سيراً على الأقدام في الريف.وانطلق كل الشباب. سار السيد "بينجلي" مع "جاين"؛ أما "إليزابيث " فقد سارت مع "كاثرين " والسيد

"دارسي".وسرعان ما اتجهت "كاثرين "إلى منزل عائلة "لوكاس " لزيارتهم.سارت "إليزابيث " بمفردها مع السيد "دارسي".والآن حانت اللحظة الحاسمة بالنسبة لها لأن تشكره بصفة خاصة على كل شيء تعرف أنه قد فعله من أجل "ليديا" ومن أجل عائلتها؛ ولذلك فقد قالت له في الحال:

- سيد "دارسي"؛ إنني لا أستطيع أن ألتزم الصمت تجاه ما قدّمته أنت من لطف ومساعدة لأختي المسكينة.ومنذُ أن عرفت بهذاوأنا أتمنّى أن

أشكرك. وأودّ أن تعلم أن بقية العائلة لا يعرفون شيئاً عن ذلك؛ وإلا فإنّني على يقين أنهم كانوا سوف يودّون أن يشكروك أيضاً.

قال السيد "دارسي" في نبرة لا تخلو من الدهشة:

- أنا في غاية الأسف؛ أنكِ تعرفين عن هذا الأمر. ولكن حيث أنكِ قد علمتِ فدعيني أخبركِ أنني إنما قد فعلتُ هذا من أجلكِ؛ وليس من أجل أختكِ. لقد رغبتُ في أن أمنحك السعادة، أنتِ وحدكِ. وأما عائلتك فلا تدين لي بالشكر.

كانت "إليزابيث" محرجة من أن تقول أيّ كلمة.وتابع السيد "دارسي" سريعاً:

- إنكِ أكثر لطفاً من أن تؤذيني. وإذا كانت مشاعرك تجاهي لا زالت كما كانت في شهر أبريل الماضي؛ إذن من فضلك أخبريني في الحال. إن مشاعري تجاهك لم تتغيّر؛ ولكن كلمة واحدة منك سوف تجعلني أصمت بخصوص هذا الموضوع إلى الأبد.

ودفعت "إليزابيث" نفسها دفعاً أن تتكلم وفي الحال؛ إذا كان الأمر غير واضح له جداًفلتدعه يُدرك أن كون مشاعره تجاهها لم تتغير فهذا يجعلها في غاية السعادة.من المحتمل أنه لم يشعر بمثل هذه السعادة أبداً في حياته من قبل؛ وعبّر لها عن مشاعره بصراحة ودفء كرجل يحب بمثل هذا العنف.

وإذااستطاعت"إليزابيث" أن تشعر أنه يُمكنها أن ترفع عينيها إلى وجهه، فسوف يُمكنها أن ترى نظرة مليئة بالسعادة القلبية بادية عليه بوضوح؛ والتي جعلته يبدو أكثر وسامة من أيّ وقت مضى. واستمرا في السير؛ بلا هدف. وبدون أن يعلما إلى أين هما ذاهبان. فقد كان هناك الكثير للتفكير فيه والشعور به. والحديث عنه بينهما. ولكي يلاحظاالعالم من حولهما.وسرعان ما أدركت "إليزابيث " أنهما يدينان بتفهماتهما الجيدة الحالية إلى السيدة "كاثرين "؛ التي زارت السيد "دارسي" في طريق عودتها إلى روزنجز من خلال لندن، والتي أخبرته عن كل ما دار بينها وبين "إليزابيث" من محادثات. ومن سوء حظ السيدة "كاثرين" فإن هذه الزيارة قد كان لها عكس النتيجة التي أرادتها أن تكون. حيث أنها أعلمت السيد "دارسي" بالمشاعر الحقيقية التي تشعر بها "إليزابيث " الآن؛ مما أمدّه بالأمل، ومنحه الشجاعة الكافية للتقدّم.وتحدّثا بصراحة عن سوء تفاهماتهما الماضية، وضحكا معاً على تلك الخلافات؛ والآن، وقد انتهت تلك الخلافات، فقد أخبر السيد "دارسي""إليزابيث" كيف كانت انتقاداتها لآرائه المتكبرة وسلوكه المتكبر قد بدأت في جعله يتغيّر.وأخبرته "إليزابيث" بدورها كيف أن رسالته إليها في هانزفورد قد جعلتها وبالتدريج تبدأ في رؤيته تحت ضوء مختلف.وتحدثا عن صدمة لقائهما مرة أخرى بطريقة غير متوقعة في بيمبرلي وأخبر "إليزابيث" كم كانت أخته؛ جورجيانا؛ قد أحبتها فوراً؛ وكم خاب أملها بسبب رحيل "إليزابيث"المفاجىء من لامبتون.ولذلك فقد سارا طوال ساعات الصباح؛ وفجأة اكتشفا أنهما قد تجاوزا كثيراً الوقت الذي كان عليهما العودة خلاله

إلى البيت مرة أخرى؛ وأن السيد "بينجلي " و"جاين " لم يكونا في مدى بصرهما.وعندما وصلا إلى البيت سألتها "جاين":

- أين كنتِ يا عزيزتي "ليزي"؟

وتغير لون "إليزابيث" قليلاً؛ ولكن"جاين" لم تشكّ في الحقيقة؛ ومرّت الأمسية بهدوء. وعلى أيّ حال؛ فقد أخبرت "إليزابيث"أختها عن كل شيء.فقالت لها "جاين":

- إنكِ تمزحين؛ يا "ليزي".إن هذا لا يمكن أن يحدث! تزوجي السيد "دارسي"! ولكنني أرى أنكِ جادة. وعليّ أن أصدقك. إنني أهنئك؛ ولكن هل أنتِ على يقين أنه يُمكنك أن تكوني سعيدة معه؟
- ليس هناك شك في ذلك على الإطلاق. بل أننا سوف نكون أسعد زوج في العالم. وآمل أنك مبتهجة يا "جاين "؟ هل سوف تحبين أخيك الجديد؟
- جداً، جداً، وأعلم أن "بينجلي" سوف يكون سعيداً جداً أيضاً.

وأخبرتها "إليزابيث" عن القصة كاملة عن التغيّر البطيء في مشاعرها، وقضت الأختان نصف الليل في المحادثات. .. وفي صباح اليوم التالي جاء السيد "دارسي" وتنزّه مرة أخرى مع "إليزابيث"، وفي هذا المساء تحدث مع السيد "بينيت".كان السيد "بينيت" مندهش تماماً، وتساءل إذا كان بإمكانه أن

يتحدث إلى "إليزابيث" لمدة عدة دقائق. وذهبت إليه في المكتبة. كان يسير حول الغرفة؛ وقد بدا جاداً جداً. ولكن بعد أن أخبرته أنها تحب وتحترم السيد "دارسي"؛ وأن كل وجهات نظرها تجاهه قد تغيرت؛ وأنه لم يعُد الرجل المتكبّر غير المُبهج الذي اعتقدوه على الإطلاق؛ وأنها كانت قد قررت أن تصبح زوجته؛ كان السيد "بينيت" لا زال مندهشاً؛ ولكنه وافق.وبعد أن تركته "إليزابيث" قال:

- إذا جاءني شباب من الرجال من أجل "كاثرين"؛ عزيزتي؛ أرسليهم مباشرة إلى الداخل. فسوف أكون سعيداً لرؤيتهم!

وفي وقت متأخر من ذلك المساء أخبرت "إليزابيث" أمها.وقبل انقضاء عدة دقائق من استيعاب السيدة "بينيت" لما كانت "إليزابيث" قد أخبرتها به، جلست ساكنة تماماً، غير قادرة على أن تقول شيئاً. وسرعان ما بدأت تنتعش؛ على أيّ حال؛ وبدأت تنهض وتجلس، وتمشي حول الغرفة وتتحدث بلا توقف عن الملابس الجميلة؛ العربات؛ الخدم؛ المنزل في المدينة الذي سوف تحصل عليه "إليزابيث"؛ وكان هذا كافياً لأن يُري "إليزابيث" أن أمها كانت سعيدة بالترتيبات.وفي اليوم التالي كتبت "إليزابيث" بسعادة إلى السيدة جاردينر، تخبرها بالأخبار، ولكي توجّه الدعوة لعائلة جاردينر للحضور إلى بيمبرلي في احتفالات عيد الميلاد.وكتب السيد "دارسي" بطريقة مختلفة تماماً إلى السيدة "كاثرين".وكتبت أخته؛ الآنسة "دارسي"؛ أربع صفحات تعبّر فيها لأخيها عن

سعادتها بالأخبار عندما سمعتها منه في رسالة أخرى.إذن فقد تزوجت ابنتا السيدة "بينيت"الكبيرتان؛ تقريباً في نفس الوقت. يالها

من سعادة وفخر، الطريقة التي تحدثت بها السيدة "بينيت" لصديقاتها عن هذا الموضوع بعد ذلك، عن السيدة "بينجلي" والسيدة "دارسي"!وعاش السيد "بينجلي" في نيذرفيلد هول؛ لمدة عام واحد بعد زواجهما ومن ثم اشترى منزلاً جميلاً يبعد أقل من ثلاثين ميلاً من بيمبرلي؛ ولذلك كانت"جاين"و"إليزابيث" كانتا سعيدتان برؤية إحداهما الأخرى كثيراً.كانت السيدة "كاثرين"؛ بالطبع؛ ليست سعيدة على الإطلاق لزواج ابن أخيها. ولبعض الوقت لم تكن تهتم بشئونه. وأخيراً؛ على أيّ حال؛ أقنعت "إليزابيث " زوجها أن يدعو السيدة "كاثرين" لزيارتهما في بيمبرلي.وفعلاً جاءت، إما بسبب حبها لابن أخيها؛ أو بدافع الفضول لكي ترى كيف تتصرّف زوجته في وضعها الاجتماعي الجديد.ولكن "إليزابيث" و"دارسي" كانا قد أسعدهما كثيراً زيارة عائلة جاردينر في بيمبرلي. فقد تذكّرا كلاهما؛ مع الإمتنان؛ كيف كانت عائلة جاردينر الذين أحضروا "إليزابيث" إلى ديربيشاير والذين كانوا أول من جمعهما كليهما معاً هناك.

*****

الفهرس

الفصل ا لأول 5

الفصل الثاني 10

الفصل الثالث 16

الفصل الرابع 24

الفصل الخامس..... 28

الفصل السادس 30

الفصل السابع 42

الفصل الثامن 49

الفصل التاسع 59

الفصل العاشر..... 62

الفصل الحادي عشر 70

الفصل الثاني عشر 78

الفصل الثالث عشر..... 80

الفصل الرابع عشر 88

الفصل الخامس عشر 91

الفصل السادس عشر.....104

الفصل السابع عشر.....108

الفصل الثامن عشر 126

الفصل التاسع عشر 132

الفصل العشرون 143

الفصل الحادي والعشرون 152

الفصل الثاني والعشرون 160

الفصل الثالث والعشرون.....175

الفصل الرابع والعشرون 187

الفهرس 200

*****

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع